أمالي

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر

في علم البيان وتاريخه

(حقوق الطبع محفوظة)

(طبع)

سنة ١٣٣٠ هجرية

مطبعة [illegible] مكتبة [illegible] بالموسكي بمصر

أمالي

علي عبد الرازق

من علماء الأزهر

في علم البيان وتاريخه

« طبع »

سنة ١٣٣٠ هجريه

مطبعة مقداد : التابعة لمكتبة النيل بالموسكى بمصر

مقدمه

في أوائل السنة الهجرية الحاضرة سنة ثلاثين وثلاثمائة والف أمليت في الجامع الأزهر الشريف دروسا في علم البيان توخيت فيها الفائدة الحقيقية للطلاب وتهذيب مباحث الفن مبلغ جهدي . ثم جمعت تلك الأمالى فأصلحت فيها ماتيسر اصلاحه وأخرجتها للناس كتابا منشورا

فان أفاد ونفع فذلك ظني به ورجائي فيه . وان كان دون ذلك فما أردت الا اصلاحا . ومانويت الا نفعا . ولكل امرىء مانوي « ان أريد الا الاصلاح ما استطعت . وما توفيقي الا بالله . عليه توكلت واليه أنيب »

القاهرة في رمضان سنة ١٣٣٠ هـ — على عبد الرازق

أغسطس سنة ١٩١٢ م

تاريخ علم البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وسائر النبيين . وأتباعهم أجمعين

علاقة الامم بلغاتها

(أما بعد) فان الله تعالى خص كل أمة من الناس بلغة ممتازة عن غيرها تسير مع الأمة سريعا وبطيئا . ورفعة وانحطاطا . وموتا وحياتا . فقد شاهدنا في سنن الحوادث الماضية وعرفنا من نظام الله تعالى في هذا الكون أن أمة من الامم لن تموت الا مع موت لغتها كما أن لغة من اللغات لا تبيد الا وتستتبع على الأثر موت أمتها وفناءها ـ وهذا التاريخ أمامنا يكشف لنا عن قبور الأمم البائدة فنجد فى كل قبر لغة ومع كل أمة لسانا ـ واذا صح ماقيل من أن الانسان بأصغريه قلبه ولسانه وأن لسان الفتي نصف ونصف فؤاده . فلاشك أن الأمة كالانسان لسانها نصفها . فلابقاء لها الا اذا كان لسانها حيا باقيا . لهذا نشأ في الامم عنايتها

بلغاتها . واجتهادها في صونها وحفظها . ومبالغتها فى ذلك مبالغة البخيل فى حفظ ماله والجبان في صيانة روحه . وفي أمة الفرنسيين مثال محسوس للناظرين . لهم في أرجاء البلاد وأقاصى الأرض جماعات كثيرة يعملون على بث اللغة الفرنسية واشاعتها في الناس . وحكومتهم من ورائهم تمدهم بالأموال وتذلل لعملهم كل عسير . وكذلك تجدون باقى الامم الراقية في وقتنا هذا تتنافس وتتبارى في خدمة لغتها والمحافظة عليها ورفع شأنها . ذلك بأنهم عرفوا أن اللغة عنوان الأمة وقدرها قدرها

*
* *

علاقة الاسلام باللغة العربية

هذا وقد جاء محمد صلي الله عليه وسلم بكتاب من ربه اختار له لغة العرب وبرسالة من عنده بلغها الينا بلسان عربي فاهتدى بهديه من أراد الله له الهدايه . ونشأ من أولئك الذين آمنوا به أمة واحدة هي أمة الاسلام . وكان لسانها بالضرورة واحدا هو لسان العرب الذى جاء به كتابهم ودونت به شريعتهم وأحكامهم . فبعد أن كانت اللغة العربية لغة خاصة بأمة صغيرة من الأمم فى واد غير ذى زرع لاتتجاوز مساحته ٣٫١٥٦٫٥٥٨ ك. م. م. أدركتها عناية الله فربت . وبارك فيها فصارت بعد ذلك لغة أمة كبيرة زاهية العمران . واسعة البلدان . تتغلغل فروعها في كل بقعة من بقاع الارض . ذات

الطول والعرض . تلك هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فبذلك انتقلت اللغة العربية من طور الى طور . وصارت عنوانا للمسلمين عامة وشعارا للاسلام . تنزل معه حيث نزل وتعدل معه أين عدل . وترحل معه متى ارتحل . بعد أن كانت لغة العرب خاصة من أبناء قحطان وعدنان . ولو بقيت اللغة العربية خاصة بالعرب لبقيت محصورة منهم في بلادهم ولكنا نجد العربية دخلت الي بلاد الهند والفرس وبلاد جاوه وروسيا ووصلت الي كل مملكة دخلها الاسلام . ذلك لما قلنا من أن هذه اللغة الشريفة انما هى عنوان الاسلام ومميز أمة المسلمين . فبذلك يكون شأن اللغة العربية مع الاسلام شأن كل لغة مع أمتها . تقارنه صعودا وهبوطا . وتسايره ارتفاعا وانحطاطا .

من أجل ذلك نشأت بين المسلمين العناية بهذه اللغة من يوم أن اختارها الله تعالى لغة دينه القويم الى يومنا هذا . وستبقى ان شاء الله تعالى هذه اللغة وتدوم العناية بها ما دام فوق وجه الارض كتاب مبدوء بفاتحة الكتاب ومختوم بسورة الناس . وما دام فوق وجه الارض انسان يولى وجهه شطر البيت الحرام ويناجي خالقه الأعلى قائلا - اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين -

*
* *

عناية المسلمين باللغة العربية

عناية الاسلام باللغة العربية قديمة تجدها ظاهرة فى كلام الله تعالى حين تقرأ مثل قوله تعالى ـ حم والكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ـ وقوله تعالى ـ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ـ وغير ذلك مما ورد فيه وصف الكتاب بكونه عربيا في سياق المدح والتعظيم . وكذلك تجدون هذه العناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفائه من بعده . حتى كان عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأمر الناس على المنبر بأن يروّوا أولادهم شعر العرب . وما ذلك الا حرصا على اللغة وعناية بها

*
* *

نشأة الحاجة الى علوم اللسان العربى .

اتسع نطاق الاسلام . ودخل الناس في دين الله أفواجا من كل بلد وكل لسان . وامتدت فتوح المسلمين الى ما وراء بلاد العرب . وتآخى في دين الله العربي والعجمي . فلما صار الأمر لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وخاف أن تفسد ملكة العرب ويضعف لسانهم العربى من احتكاكه بالعجمة أمر أن تجعل اللغة علما تستنبط قواعده وتقرر قضاياه ليتعلمها الناس فتصون لسانهم من الخطأ واعرابهم من اللحن

*
* *

عدم حاجة العرب الى علوم اللغة

وما كانت لغة العرب قبل ذلك اليوم علما يدون ولا كان العرب يعرفون تدوين اللغات . وانما كانت اللغة والاعراب ملكة لهم وطبعا لا يمكن العدول عنه ولا يميل لسانهم الي غيره . وكان العربي بسليقته يعرب الكلام فيرفع الفاعل وينصب المفعول سجية غير محدثة من دون أن يعرف أن هذا فاعل وان كل فاعل مرفوع مثلا . وكما أن أحدنا الآن اذا أراد أن يدعو رجلا اسمه محمد فانه لايدعوه حسنا وانما يدعوه بالاسم الصحيح طبعا غير متكلف . فكذلك العربي اذا ورد اللفظ في كلامه خبرا لان أو اسما لكان أو مبتدأ أو خبرا فانه يجرى على لسانه من غير عناية مجرى الصحة والصواب . وما كان للعربى أن يخطيء في مواضع الاعراب الا كما يخطيء أحدنا في اطلاق اللفظ المألوف بيننا على غير ما يدل عليه. وذلك نادر لا يخشى منه على استعمال اللغة شر كبير . فلما كان ما ذكرنا من امتداد الحبل بين العرب والعجم واختلاط العربية بأخواتها الحبشية والرومية والفارسية . ودخل في العرب الاعاجم فتلقنوا اللغة تلقنا وتعلموها تعلما وجري بها لسانهم جريا صناعيا غير صادر عن الفطرة والطبع بل عن تقليد ومحاكاة . هنالك التوت

الألسن واستعدت للخطأ وظهر في اللغة اللحن . وخاف أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن تضيع اللغة وتغلب عليها العجمة فأمر أبا الأسود[1] بأن يستنبط للغة قواعد مضبوطة ويضع لها ضوابط كلية ويبين لها أساسات محكمة ليرجع اليها الدخيل في اللغة ويرتسمها العجمي الذي تلقن اللغة بالتعلم لابالطبع ويلاحظها العربي الذى اختلط بالعجم حتي خيف على فطرته وسجيته

من ذلك العهد بدأت الأنظار تتجه الي اللغة العربية وطفق العلماء ينعمون النظر في ثناياها لاستنباط قواعدها . ووضع طرق التخاطب بها . فوضعت بذور قسم من العلم كبر فيما بعد ونما واتسعت دولته . وهو الذي سمى فيما بعد « علوم اللغة العربية »

وصار للغة العربية علوم شتي ذات أصول وفروع وأنواع وفصول . كما كان للموجودات الحية مثلا علوم شتي . وللأحجار والمعادن علوم كذلك . وكما كان للدين الاسلامى علوم تسمى علوم الدين .

على هذا النحو الذي سردناه كانت نشأة علوم اللسان العربى

---

(١) هو أبو الأسود الدئلى (بضم الدال وكسر الهمزة نسبة الى دئل كنب كما يؤخذ من القاموس) واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ينتهى نسبه الى كنانة بن خزيمة توفى سنة ٦٩ هـ وله من العمر ٨٥ سنه

التي تنتظم النحو والصرف والمعاني . وهـذا العلم الذى نحن شارعون فيه بعون الله تعالى وتوفيقه ويسمى علم البيان . كما سنعرفه . وتنتظم أيضا علوم البديع والعروض والقوافى والانشاء وآداب اللغة العربية وتاريخها وهلم جرا . فجميع هذه العلوم وما اليها تجتمع في أنها باحثة عن لسان العرب وخادمة له وواضعة لقواعده . حتى كان لنا أن نقول انها كلها ذات موضوع واحد وهو اللفظ العربي . الا أنها تختلف بعد ذلك في جهة البحث وحيثية الموضوع . ولذلك كانت علوما مختلفة . ذات أسماء متميزة . ولا يمنع ذلك من أنها جميعا تشترك فى أنها متعلقة بلسان العرب باحثة عنه فليكن ذلك جنسا لها

*
* *

الآن وقد فرغنا من بيان هذه العلوم كيف نشأت مجملة . بقي علينا أن نعرف كيف اختلفت جهاتها . وتشعبت حيثياتها . لينتج لنا من ذلك معرفتنا بهذا العلم الذى نحن شارعون فيه معرفة خاصة . وتحديد حقيقته ونسبته الى غيره من العلوم . ومعرفة شيء من تاريخ نشأته وتطوره فى أطواره المختلفة

كان غرض علماء المسلمين كما قلنا انما هو استنباط قواعد للغة العربية . وضبطها تحت قوانين كلية . ليسهل تعلمها

ويؤمن دخول الخطأ فيها

وضع قواعد النحو والصرف

ولقد كان أول ما بدا للناس من الخطأ في أساليب العربية هو الخطأ في اعرابها . وفى حركات أواخر الكلم كما تسمعون من قصة أبي الأسود الدئلي . حين سمع بنته تقول ما أشد البرد . بضم الدال من أشد . وهي انما تريد طريق الفتح كما فى باقى الحديث ـ وكما في القصة الاخرى التى قيل فيها . ما أحسن السماء . بضم النون موضع فتحها . وغير هذا مما تجدونه فى السير . (١) لذلك انبعثت همة أمير المؤمنين علي وباقى علماء الاسلام الى استخراج علم اعراب الكلمات وبنائها ـ وكان ذلك هو علم النحو

وكذلك يقال (٢) أن عليا كرم الله وجهه فطن الى خطأ آخر فى اللغة . وهو الخطأ فى أبنية الكلمات وهيئاتها . فوضع في علم البناء بابا أو بابين ـ وذلك هو أساس علم الصرف

---

(١) روى أن بنت أبي الأسود الدئلي قالت له يوما ما أحسن السماء ! فقال لها . أى بنية نجومها . فقالت انما اتعجب من حسنها. فقال قولى ما احسن السماء وافتحى فاك ـ ثم وضع باب التعجب والاستفهام . وروى أنه سمع قارئا يقرأ . ان الله برىء من المشركين ورسوله . بالجر فوضع باب العطف والنعت اه (خضرى)

(٢) نقل الشيخ على الصالحى عن اليوسى أن واضع الصرف على بن ابى طالب ـ ونقل عن التصريح الاجماع على ان واضعه معاذ بن مسلم الهراء بتشديد الراء

*
* *

تأثير العجم في علوم اللغة

ولا بأس أن نقول الآن رأينا فى أن اختلاط العجم بالعرب. واتخاذهم اللسان العربي لغة كلامهم ـ كما كان هو السبب في فساد اللهجة العربية والخوف عليها ـ فقد كان هو أيضا مما سهل على العرب استنباط قواعد اللغة ووضع أحكامها. ذلك بأن العرب حينما فطنوا الى حاجتهم الى النحو كان اليونان والسريان قد سبقوهم الى وضع النحو اليوناني والسرياني. فلا أقل من أن يكون علماء العربية قد اتخذوا قواعد ذلك النحو مقياسا يقيسون عليه ومنوالا يحتذون على مثاله ـ هذا اذا لم نقل انهم قد اقتبسوا كثيرا من قواعده ونقلوا منه غالب ضوابطه ـ ولا يسع المنصف الا أن يقول ذلك ويعتقده كما نعتقده. ولولا أن اقامة الحجة عليه قد تصرف وجهة بحثنا. وتخرجنا الي باب وراءه ميدان فسيح واسع. لذكرنا ما قد عرفنا في ذلك. على أن نظرة واحدة الى علم النحو السرياني تكفي في اثبات ما أردناه

وقد ذكر أوجه الخلاف في هذه المسألة العلامة الألمانى الاستاذ انو ليتمن (Professor Dr, Enno Littman) في محاضراته التي القاها في مقارنة اللغات السامية بالجامعة المصرية سنة ١٩١١ فقال ما نصه ـ ثم انكم تعلمون أن علماء العرب

'Abd al-Raziq, 'Ali, 1888-
Amali fi 'ilm al-bayan wa-tarikhih. Misr, Matba'at Miqdad, 1330 (1912)
122 p.

[illegible]

GL ~~[illegible]~~ 9/27/77

أبدعوا في علم النحو واللغة. واختلف العلماء الأوروباويون في أصل هذا العلم. فمنهم من قال انه نقل من اليونان الى بلاد العرب. وقال آخرون ليس كذلك وانما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب. وهذا هو الذى روي فى كتب العرب من زمن. ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهبا وسطا ونقول كما أثبته في هذه السنة عالم اسمه (Joseph le Blanc) - هذا الاسم بالعربي يكون يوسف الابيض - وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء. وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه الا ما اخترعه هو والذين تقدموه. ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق. تعلموا أيضا شيئا من النحو. وهو النحو الذي كتبه أرسطاطاليس الفيلسوف. وبرهان هذا أن تقسيم الكلم مختلف. قال سيبويه. فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس لاسم ولا فعل. وهذا تقسيم أصلى. أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام الى اسم وكلمة ورباط. أي الاسم هو الاسم. والكلمة هى الفعل. كما يقال له في اللغات الاوروباوية (Verb). والرباط هو الحرف. كما يقال له في اللغات الاوروباوية (Conjunction) أي ارتباط وهذه الكلمات اسم وكلمة ورباط ترجمت من اليوناني الى السريانى ومن السرياني الى العربي. فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو. أما كلمات اسم

وفعل وحرف فانها اصطلاحات عربية أصلية ما ترجمت ولا نقلت الخ (انتهى كلامه)

ومن نظر الى أن أئمة علوم اللغة العربية . وأرباب اليد في وضعها وتنسيقها انما هم على الغالب أعجام . لا يسعه أن يعرف سرافي ذلك الا ما بين علومنا وعلومهم من الاتصال ـ والبحث المستقصى في ذلك له مقام غير مقامنا . فلندعه الآن لنعود الى الكلام في تدرج علوم اللغة العربية

*
* *

علم آداب اللغة

ويلوح لنا أن علم آداب اللغة العربية ـ ان صح أن يكون علما مستقلا ـ هو أسبقها وجودا بعد علمي النحو والصرف . اذ يمكننا أن نعد من العلماء بالآداب عددا جما في صدر الاسلام قبل أن نعد أحدا ممن ينسب اليه التكلم في علم البيان أو البديع . يمكننا أن نعد في صدر علماء الآداب ـ ولا نخاف لوما ـ الامام محمد بن ادريس الشافعي ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة والأصمعي وكثيرا غيرهم قبل أن نصل الى الزمن الذى كان فيه واحد ممن ينسب اليهم علم البيان والبديع

على أنه يعسر علينا أن نحدد على الضبط يوم نشأ علم آداب اللغة العربية . الا أننا رجحنا انه التالى للنحو والصرف . اذ لا

يخفي أن بين النحو والصرف وبين أدبيات اللغة العربية تلازما بينا لا يتصور انفكاكه. ولا يسوغ لرجل أن يتصدى لاستخراج قواعد الاعراب واشتقاق الكلم دون أن يكون قد ضرب في آداب العرب بسهم - ولئن كنا لا نستطيع أن نعد للسابقين كتابا فى هذا الفن . فذلك قد يكون سببه أنهم ألفوا ولكن فاتتنا تآليفهم - وكم للقوم من مآثر بادت وذهبت

بل قد يذهب الظن الى أن علم آداب اللغة العربية أسبق وجودا من النحو والصرف . وأنه عريق فى القدم . يرجع تاريخه الى أيام الجاهلية الأولى . اذ كان في العرب قديما رواة الاشعار والاخبار وعلماء النسب . وكل هذه فروع داخلة تحت علم آداب اللغة العربية . الا أننا لم نذهب الى القول بذلك اذ كنا نتكلم على تدوين العلوم وظهورها في صور علمية يدخل فيها البحث ويستعمل فيها النظر . وذلك لم يكن الا بعد انتشار الدولة الاسلامية وتمهد أسباب التأليف والكتابة . ولا شك في أن ذلك لم يكن الا بعد أن فرغ علي وأبو الأسود من تدوين النحو والصرف . ووضع أساسهما . فلا جرم أنهما سابقان على علم آداب اللغة. من هذه الجهة

*
* *

ثم يجيء علم العروض تاليا لعلم آداب اللغة . وضعه الخليل بن احمد، توفي سنة ١٧٤ هـ علم العروض

*
* *

اتسعت دولة الأدب العربي وأزهرت. وأنجب اللسان العربي كثيرا من العلماء، والمؤلفين والفلاسفة وأهل البلاغة في القول والكتابة . وكثر الشعراء النابغون . والخطباء المجيدون. وأقبل على اللغة العربية كثير من الطلاب والمتعلمين ونبغ فيها كثير من النابغين . فأخذت اللغة يومئذ تحيي حياة علمية مباركة في أوائل دولة العباسيين . واتسع بحث أهل البحث في اللسان العربي. بعد أن كان واقفا عند حد الاعراب والبناء . وأخذ البلغاء والعلماء يتبارون في تزيين الكلام والاجادة فيه . ويتسابقون الى التصرف في أساليب الكلام. والتأنق في مناحي القول . فلفتهم ذلك الى تعرف طرق الاحسان في الكلام. وأسباب التفاوت بين الأساليب وعوامل الاجادة في التراكيب . وآن لهم أن يبحثوا فى معنى لطف الكلام وجودته . وفي معنى فصاحته وبلاغته .

وفي أسباب حسنه ورقته . واشتاقت نفوسهم الى علم يضع لهم قوعد البراعة والبلاغة والفصاحة وضوابط الاحسان في الكلام والاجادة فيه

وقد صادف يومئذ أن وجدت في الدولة الاسلامية مسألة زادت عناية القوم بهذه المباحث وهيجت شوقهم اليها . ولفتت نفوسهم نحوها . وهي البحث في اعجاز القرآن من اى جهة هو

وتلك مسألة كما ترون دينية صرفة أثارها ما كان لعلوم الكلام يومئذ من الشان . ولكنها كانت سببا في توجه المسلمين علمائهم الى بحث معنى بلاغة الكلام وفصاحته . وسر ارتفاع الكلام حتى يبلغ الى درجة الاعجاز . وانحطاطه الى الدرجة التي اذا غير عنها التحق عند البلغاء بأصوات الحيوان

مجمل المذاهب في اعجاز القرآن

وذلك حين نشأ القول بأن اعجاز القرآن ليس كما يقول النظام ـ من جهة ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وان كان ذلك ميسورا لهم ـ ولا من جهة ان اسلوبه مخالف لاسلوب الشعر والخطب والرسائل لاسيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون ويؤمنون ـ ولا من جهة أنه ليس فيه اختلاف وتناقض ـ ولا لانه اشتمل على أخبار مغيبة صح الاخبار عنها وصدق التنبؤ بها ـ قال عبد القاهر ما ملخصه

وانما أعجزتهم - يعنى العرب - من القرآن مزايا ظهرت لهم فى نظمه . وخصائص صادفوها فى لفظه . ووجدوا فيه اتساقا بهر العقول . وأعجز الجمهور . ونظاما والتئاما . واتقانا واحكاما . لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك يافوخه السماء - موضع طمع . حتي خرست الألسن عن أن تدعي وتقول . وخلدت القروم فلم تملك أن تصول اه

وحين وجد هذا الرأى الأخير في اعجاز القرآن . ورجح عند المسلمين. وشاع أتباعه . وجب عليهم أن يبحثوا في كنه هذه المزايا والخصائص. وسر ذلك النسق الباهر . والنظام النادر . والاحكام الذى أخرس الشقاشق . وأعجز كل ناطق. ومعنى تلك البراعة في البيان . وحقيقة الفصاحة والبلاغة في القرآن - هنالك نشأت مباحث الفصاحة والبلاغة ووضعت بذور علم جديد يبحث فى اللغة العربية من حيث انها كيف تحوز البلاغة . وتوجد فيها الفصاحة والبراعة ؟ وكيف تستعمل تراكيبها استعمالا سائغا ؟ وكيف تكون بداعة الأساليب . وظرف التراكيب . ومتانة الكلام . وحسن الاتساق والانتظام ؟ وتلك المباحث هي التي صارت فيما بعد علوم البلاغة . وانقسمت الى علم المعانى والبيان والبديع

* * *

فائدة علوم البلاغه

قال الامام محمد بن عمر الرازى

واذا ثبت ذلك كان العلم الباحث عن حقيقة الفصاحة والكاشف عن ماهيتها . والمتفحص عن أقسامها . والمستخرج لشرائطها وأحكامها . والمقرر لمعاقدها وفصولها. والملخص المحرر لفروعها وأصولها . باحثا عن أشرف المطالب الدينية . وأرفع المباحث اليقينية . وهو البحث عن جهة دلالة القرآن على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل والتحصيل . ويكون صاحبه مترقيا في ذلك من حضيض التقليد الى أوج التحقيق . وذلك ما لا شرف وراءه . ولا رتبة فوقه اه

* * *

على هذا النحو كانت نشأة علوم البلاغة العربية ـ ونكرر هنا ماقلناه في علم النحو . من أن العجم الذين دخلوا في دين الله تعالى كان لهم فضل كبير في استنباط قواعد علوم البلاغة. التي كانت موجودة في لغتهم. فاحتذوا مثالها . ونسجوا على منوالها

*
* *

مبحث ان علوم البلاغة قديمة

ينتج مما سبق أن نواة علوم البلاغة كانت البحث في بيان معنى فصاحة الكلام . وأن أساس هذه العلوم هو القول في سر البلاغة والبراعة والجزالة وفي حسن الكلام ورقته ولطفه وجزالته . وقديما جدا ما تكلم العلماء فى ذلك الموضوع وبحثوا فيه وتساءلوا عنه . ولا ريب عندنا فى أن عرب الجاهلية كانوا يضطرون الى ولوج شيء من هذه المباحث حين كانوا يوازنون الشعر ويفاضلون بين أقوال الشعراء . ويقارنون بين مواضع اللطف والجودة في التعبير وكذلك نجد في شعر الجاهليين شيئا من الالمام بطرق التأنق في العبارة والجزالة فيها حين يمدحون الكلام

ولا شك أن مثل قوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبدالله البجلي ـ ياجرير اذا قلت فأوجز . واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف ـ يرمى الى غرض كبير وباب من أبواب البلاغة واسع ـ وكذلك قول قائلهم فى مدح حبيبته

لها بشر مثل الحرير ومنطق

رخيم الحواشي لا هرأ ولا نذر

يحوم حول باب الايجاز والاطناب من علم المعانى . وهذا مجال عريض طويل لا نستطيع الاحاطة به في هذا المقام . وفي كتب الأدب كثير منه . وحسبنا الا ن أن نقرر أن العرب

في القديم بحثوا عن أسرار البلاغة . وتكلموا في أسباب البراعة والجزالة . ضرورة أنهم كانوا يتنافسون فى الكلام ويتناقشون في تفضيل بعضه على بعض . على أن هذا البحث اذ كان بابا من أبواب علم آداب اللغة ومبحثا من مباحث ذلك العلم فلا بد أن يكون علماء اللغة الأولون قد خاضوا فيه وبحثوا عنه . ويبعد عندنا كل البعد أن يكون أبو عمرو ابن العلاء (٧٠ ــ ١٥٤ هـ) ــ وهو صاحب العلم الكثير فى آداب اللغة . والتآليف الجمه . لم يبحث أصلا في شيء من سر البراعة والبلاغة . وكذلك يبعد عندنا كل البعد أن ابا عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ ــ ٢١٠ هـ) لم يعرض له البحث في ذلك الموضوع . وهو في العلم بأداب العرب في لغاتهم من هو . وله من التآليف ما ذكروا أنه ينيف على مائة كتاب . منها كتاب سماه مجاز القرآن . وأبو عبيدة هذا هو الذي تكلم في قوله تعالى ــ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ــ فقال انه تعالى كلم العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول أمرى القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعى
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثل هذا الجواب لا يكاد يمر بعقل رجل لم يبحث في تشبيهات العرب وتخيلاتهم

ثم هل يتصور أن أباحنيفة رضي الله تعالى عنه يحمل قول الله تعالى ـ أو لامستم النساء ـ على معنى الدنو والافضاء. الا وقد عرف ان للعرب مجازات يستعملونها في غير ما وضعت له . وكذلك سائر العلماء في صدر الاسلام الذين شغلوا باللغة أو الدين. لا يكاد يعقل أن يمر بهم تدبر كتاب الله تعالى. والبحث المستقصي في أساليبه وأساليب الاحاديث النبوية وشعر العرب . من غير أن يترك ذلك عندهم آثارا كثيرة من مباحث البلاغة في الايجاز والاطناب والفصل والوصل والاستعارة والتشبيه الخ

والحاصل ان البحث في أسرار اللغة العربية وأسباب الفصاحة قديم عريق. الا أنه لم يبلغ أن ينشيء علم البلاغة الذي كلامنا فيه . وانما كان بحثا عرضيا . وشيئا فرعيا . وآراء شتى مبعثرة. لا ينظمها كتاب ولا يؤلف بينها علم

*
* *

الجاحظ وجماعة ممن كتبوا فى علوم البلاغة

بقي هذا البحث عرضيا منشورا في كتب شتى ومسائل متنوعة . ثم أخذت تنمو وتسلك سنة الظهور والشيوع حين توفرت تلك العوامل التي أشرنا اليها آنفا . فتصدى أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب توفي سنة ٢٥٥ ه لهذا المبحث . واستقصى فيه القول . والف كتاب البيان

والتبيين . فذكر فيه من عيوب البيان وحسناته . ما يجمع شتاتها . وينظم متفرقها . وبحث طويلا فى سر البلاغة والفصاحة . وحذا حذوه كل من قدامة الكاتب حوالي سنة ٢٥٦ هـ وكذلك أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد سنة (٢٢٢ — ٣٢١) وأبو هلال العسكري وكثير غيرهم . وهداهم البحث الى كثير من مسائل علم البلاغة فكتبوا فيها ونقبوا عنها . الا أنها كانت كما قال ابن خلدون - املاآت غير وافية فيها - ولم تكن مباحثهم فيها جارية مجرى البحث العلمي والنظر الفني . بل كانوا على الغالب يتناولونها باعتبار أنها باب ذو شأن كبير من أبواب علم الأدب وفرع من فروعه الكثيرة . فلا غرو أنهم لم يعتبروا واضعي علم البيان الذي كلامنا فيه . وان كانوا لا ريب قد بحثوا في شيء من مباحثه ومهدوا الطريق لواضع الفن تمهيدا . وأوضحوا معالمها وكشفوا كثيرا من فجاجها . فأخذت تبدو آثار هذا العلم للسالكين . وتتضح مناهجه للسارين . وتتذلل مباحثه للطالبين

* * *

عبد القاهر الجرجاني

حتى كان الامام عبد القاهر الجرجاني - توفي سنة ٤٧١ - فتجرد لهذه المباحث السابقه فهذبها وضم شتاتها وجمع ماتلاءم منها

ورتب قواعدها ترتيبا . وبوبها تبويبا . ونظم في كتابه أسرار البلاغة سمطا منها ثم أردفه بكتاب دلائل الاعجاز متداركا لما أغفل . ومفصلا لما أجمل . وموضحا لما أبهم. واذ كان عبد القاهر هو أول من سلك هذا المسلك . وأول من رتب هذه القواعد تحت كتاب واحد استحق أن ينسب اليه الفضل فى وضع علم البيان واشتهر بين العلماء أن عبد القاهر هو واضع علم البيان

*
* *

تحقيق القول في ان الجرجانى او السكاكى هو الذى وضع فن البيان

وقد رأينا أنه لا بد لنا أن نقف برهة عند هذا القول لنمحص الحق فيه ونحقق الصواب . اذ رأينا العلامة ابن خلدون عدل عنه الى القول بأ ن الامام أبا يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى المتوفي سنة ٦٢٦ هو الذي مخض زبدته . وهذب مسائله ورتب أبوابه . على خلاف ما اشتهر بين العلماء وتداوله المؤلفون من أن عبد القاهر (هو الذى نظم منثورلآلئه في عقد التصنيف وحلى كتبه الموضوعة فيه بأحسن ترصيف فلعله لذلك نسب اليه وان كان غيره قد تكلم قبله عليه .

نحن اذا تصفحنا ما كتبه عبد القاهر في كتابيه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وجدنا انه وان كان قد

أحاط بغالب مباحث علم البيان وطرف كبير من أبواب علم المعاني . واستوفى القول فيها . وأحسن توصيفها وترتيبها الا أنه جعل الوحدة التي تربط مباحثه وتضمها وتوحد اعتبارها . أنها مباحث متعلقة بالكلام العربي من حيث انه كيف يكون بليغا فصيحا . وعذبا أنيقا ؟ وكيف يعذب البيان ؟ وكيف يفصح اللسان ؟ وكيف يشتمل القول على المزايا والخصائص التي تكسبه اعجاب السامع وقلبه ؟ ومن أى الجهات يكون اعجاب السامع واستجادته ؟ - وعلى بيان هذه الجهات وشرحها بنى عبد القاهر كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة. كما يدل اسمهما وكما تشهد بذلك مقدمة المؤلف في دلائل الاعجاز لمن تصفحها . وهذا آخرها صريح في ذلك . حيث قال بعد أن أفاض في بيان مزايا الكلام التى يتفاضل بها ويتفاوت . وبين ان هذه المزية من حيز المعانى دون الالفاظ . وانها ليست لك من حيث تسمع بأذنك . بل حيث تنظر بقلبك . وتستعين بفكرك وتعمل رويتك . وتراجع عقلك . وتستنجد في الجملة فهمك .

وينبغي أن نأخذ الآن فى تفصيل أمر المزية . وبيان الجهات التي تعرض منها . وانه لمرام صعب . ومطلب عسير وانا أنزل لك القول في ذلك وأدرجه شيئا فشيئا . وأستعين بالله تعالى عليه وأسأله التوفيق اه

على هذا الأساس بنى عبدالقاهر كتابيه . فتناول من المباحث ماهداه الرأي ودله النظر على أن لها شأنا في بلاغة الكلام وفصاحته . وقد أطلق عليها جميعها اسم .علم البيان .كما تراه في دلائل الاعجاز . من غير أن يفرق بين ما كان من هذه المباحث راجعاً الى مطابقة الكلام لمقتضى المقام . وما كان منها راجعاً الى مباحث المجاز والكناية والتشبيه . ولم يخص الأول باسم المعاني والثاني باسم البيان .ولم يشأ ان يفرق بين بعض المباحث وبعض . اذ كانت كلها عنده متحدة الموضوع والغاية . وكلها راجعة الى البحث فى أسرار البلاغة والفصاحة . وعلى هذا الاعتبار رتب مباحث كتابه دلائل الاعجاز. فبدأ بالكلام فى الكناية والاستعارة والتمثيل.وهى من مباحث علم البيان . ثم دخل في مباحث من علم المعانى كالتقديم والتأخير والفصل والوصل والقصر . ثم رجع الى مباحث المجاز والاستعارة . وانتقل الى بقية من علم المعانى.

ثم ان كتاب أسرار البلاغة قد اقتصر على مباحث من علم البيان خاصة . ولم يتعرض لشيء من علم المعاني . ولكنا نذهب لامحالة الى أن ذلك انما جاء مصادفة غير مقصود منها تخصيص هذه المباحث بعلم خاص بها . ولم يلاحظ انفرادها بجهة من البحث لاتشاركها فيها مباحث علم المعاني.

التي وردت في كتاب دلائل الاعجاز . وما لاحظ المؤلف يقينا في جمعها وتدوينها الا أنها أبواب من مزايا الكلام وسر من أسرار البلاغة

ولنا من كلام المؤلف في صدر كتاب أسرار البلاغة شواهد على ذلك

قال بعد الفراغ من الفاتحة (واعلم أن غرضى فى هذا الكلام الذى ابتدأته . والأساس الذى وضعته . أن أتوصل الى بيان أمر المعانى كيف تتفق وتختلف . ومن أين تجتمع وتفترق . وأفصل أجناسها وأنواعها. وأتتبع خاصها ومشاعها. وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل وتمكنها في نصابه وقرب رحمها منه . أو بعدها حين تنسب عنه . . . وهذا غرض لاينال على وجهه . وطلبة لاتدرك كما ينبغى الا بعد مقدمات تقدم . وأصول تمهد . وأشياء هي كالأدوات فيه حقها أن تجمع . وضروب من القول هي كالمسافات دونه يجب أن يسار فيها بالفكر وتقطع

وأول ذلك وأولاه. وأحق بأن يستوفيه النظر ويتقصاه القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة . فأن هذه أصول كثيرة . كأن جل محاسن الكلام ان لم تقل كلها متفرعة عليها . وراجعة اليها . وكأنها أقطاب تدور عليها في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها اه كلامه

جاء السكاكي من بعد عبد القاهر وقد تمهدت قواعد البلاغة تمهيداً . وتمت بناءا وتحديدا . وانحصرت أصولها وفروعها . وظهرت أسرارها وكنوزها . واتضحت مباحث المعاني والبيان . وعرفت أبواب كل منهما . الا أنها كانت مجموعة في سمط واحد . وتحت موضوع واحد . كما في كتب عبد القاهر ومن حذا حذوه من المتقدمين . فاخترع السكاكي ترتيبا جديداً بين هذه المباحث . فجمع منها ما كان متعلقا بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وسماه علم المعانى . وما كان متعلقا بايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة وسماه علم البيان - وسيمر بك بعد قليل ان شاء الله تعالى توضيح لذلك المذهب وزيادة بيان - فبذلك انفصلت مباحث البلاغة الى فرقتين . وانشعبت الى علمين

ينتج بعد هذا البيان أن عبد القاهر هو صاحب اليد الطولى . والمأثرة الجلى . فى اختراع مباحث علم البيان وتهذيبها وضبطها وتدوينها . فلاجرم قال السابقون انه واضع علم البيان نظراً الى ذلك . وأن السكاكي هو أول من جعل علم البيان علماً قائما بذاته ومستقلا بنفسه . وميز قواعده من قواعد علم المعانى . فلا جرم قال ابن خلدون انه واضع علم البيان نظراً الى ذلك . ولكل وجهة

ويدلكم على أن السكاكي لم يكن الا منظما لمباحث

البيان لامبتدعا لشيء منها . ولا واضعاً لشيء من قواعدها كلمات شتي ترد فى أثناء مباحثه · مثل قوله . قال أصحاب الفن كذا - ثم اننا رأيناه قدصرح بذلك تصريحافي موضعين في آخر علم البيان من كتاب المفتاح . قال في أحد الموضعين

« هذا ما أمكن من تقرير كلام السلف رحمهم الله في هذين الأصلين . ومن ترتيب الأنواع فيهما وتذييلها بما كان يليق بها . وتطبيق البعض منها بالبعض · وتوفية كل ذلك حقه . على موجب مقتضي الصناعة · وسيحمد ما أوردت ذوو البصائر . وانى أوصيهم أن أورثهم كلامي نوع استمالة . وفاتهم ذلك في كلام السلف اذا تصفحوه . أن لا يتخذوا ذلك مغمزاً للسلف أو فضلا لى عليهم . فغير مستبدع فى أيما نوع فرض أن يزل عن أصحابه ما هو أشبه بذلك النوع فى بعض الأصول أو الفروع . او التطبيق للبعض بالبعض متى كانوا المخترعين له . وانما يستبدع ذلك ممن زجى عمره راتعا فى مائدتهم تلك . ثم لم يقو أن يتنبه - وعلماء هذا الفن وقليل ماهم. كانوا في اختراعه واستخراج أصوله وتمهيد قواعدها واحكام أبوابها وفصولها . والنظر فى تفاريعها . واستقراء أمثلتها اللائقة بها . وتلقطهامن حيث يجب تلقطها . وانعاب الخاطر في التفتيش والتنقير عن ملافطها . وكد النفس

والروح في ركوب المسالك المتوعرة الى الظفر بها . مع تشعب هذا النوع الى شعب بعضها أدق من البعض . وتفننها أفانين بعضها أغمض من بعض . كما عسى أن يقرع سمعك طرف من ذاك - فعلوا ماوفت به القوة البشرية اذ ذاك ثم وقع عند فتورها منهم ما هو لازم للفتور » اه

وقال في الموضع الثاني « ثم مع ما لهذا العلم من الشرف الظاهر . والفضل الباهر . لا ترى علما لقي من الضيم مالقي . ولا مني من سوم الخسف بما مني . أين الذي مهد له قواعد . ورتب له شواهد . وبين له حدوداً يرجع اليها . وعين له رسوماً يعرج عليها . ووضع له أصولا وقوانين . وجمع له حججاً وبراهين . وشمر لضبط متفرقاته ذيله . واستنهض في استخلاصها من الأيدى رجله وخيله ؟ علم تراه أيادى سبأ . فجزء حوته الدبور وجزء حوته الصبا . انظر باب التحديد - فأنه جزء منه - في أيدى من هو ؟ انظر باب الاستدلال فأنه جزء منه - في أيدى من هو ؟ بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه . من أي علم هي ؟ ومن يتولاها ؟ وتأمل فى مودعات من مباني الايمان ماترى من تمناها سوى الذى تمناها . وعد وعد . ولـكن الله جلت حكمته . اذ وفق لتحريك القلم فيه . عسى أن يعطي القوس باريها بحول الله عز سلطانه وقوته . فما الحول والقوة الا به اه

*
* *

الزمخشري

ثم نعود الى اتمام القول فى تاريخ العلم من حيث انتهينا ونذبهكم الى أن الامام أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشري (سنة ٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) ينبغي أن يعد بعد عبد القاهر فى صدر الواضعين لفن البيان . الذين كان لهم فى تاريخه شأن أي شأن. فقد كتب كتابه الكشاف الذى جعله تفسيرا لكتاب الله الكريم وعني فيه عناية خاصة بتطبيق القرآن على قواعد البلاغة والتنبيه علي ما حوى من أسرار الفصاحة والبراعة. حتى كان كتابه الى اليوم عمدة البيانيين . وأمام العلماء والطالبين. بيد أنه لم يشتهر اشتهار السكاكى وان كان سابقاً عليه بنحو قرن من الزمان ـ ويلوح لنا أن الذى دعا الى ذلك هو ان الزمخشري سار فى مباحث البيان على منهج الامام عبد القاهر وبنى على الاعتبار الذى بنى عليه . فلذلك لم يكن له من السبق ما كان لعبد القاهر . ولا من الاختراع ما كان للسكاكي. وعلى كل حال فلا ينبغي أن يهمل اسمه في ذلك المقام.

*
* *

علوم البلاغة بعد السكاكى

أصبح علم البيان بعد الامام السكاكي علما قائما بذاته متميز الموضوع . واضح الاصول والفروع قريب التناول

سهل المأخذ . وأضحى التهذيب فيه والاصلاح ميسورا لمن شاء من العلماء . فجاء الامام أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (سنة ٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) بعد الامام السكاكي بجيل من الزمان . فكتب في هذا الفن وعد ممن لهم فيه يد . ولا يمكننا أن ندرك ما أدخل اليه من الاصلاح اذ كنا لم نقرأ له في هذا الفن كتابا ولكنا نذكره من المصلحين . تبعاً لمن ذكره من المؤلفين

*
* *

الخطيب القزويني وكتابا التلخيص والايضاح

اشتهر بعد الامام ابن مالك بالكتابة في علم البيان الامام القزويني محمد بن عبد الرحمن الخطيب . توفى سنة ٧٣٩ . وله بين أيدينا كتابان أولهما تلخيص المفتاح الذى بلغ من الشهرة عندنا مالم يبلغه غيره من كتب الفن وتبارى فى تفسيره الشارحون وأصحاب الحواشي والتقارير وتسابق اليه طلاب البلاغة والمحصلون . حتى كان عند الأزهريين الأول الذى لايبارى . والآخر الذى ليس بعده غاية لمطلع . والكتاب فى ذاته ذو قيمة علمية يمكن أن يقام منها شبه شبهة لأنصاره ومحبيه . ألا أننا في مقام تاريخ علم البيان لانستطيع أن نعرف له تلك القيمة ولا يمكننا

أن ننظر الى كتاب التلخيص باعتبارنا مؤرخين لعلم البيان ألا نظرة فاترة ليس فيها شيء من الاعجاب . فما كان الكتاب الا تلخيصا للقسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي دون أن يحدث فى جوهر الفن تغييراً يعد . وعملا يقدر. واليك كلمة المؤلف في صدر كتابه شهيدة بذلك قال ـ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذى صنفه الفاضل العلامه أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ماصنف فيه من الكتب المشهورة نفعا . لكونه أحسنها ترتيبا . وأتمها تحريرا . وأكثرها للأصول جمعا . ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد . قابلا للاختصار ومفتقراً للايضاح والتجريد . ألفت مختصراً يتضمن مافيه من القواعد . ويشتمل على ما يحتاج اليه من الأمثلة والشواهد . ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه . وترتيبه ترتيباً أقرب تناولا من ترتيبه . ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه . وتسهيلا لفهمه على طالبيه . وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها . وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها الخ اه

وقد يسألنا سائل عن تلك الزوائد التي ذكر المصنف أنه لم يظفر فى كلام أحد بها , ونحن بحمد الله نستغنى عن أن نتحمل تبعة جواب نجيب به من تلقاء أنفسنا فقد كفانا

شراح(١) الكتاب مؤونة التبعة والتعب . فقال العلامة سعد الدين التفتازاني عند هذه الجملة مانصه :

---

(١) ـ اعترض شراح التلخيص على قوله وزوائد الخ . بأن هذه الزوائد انكانت غيرموجودة فى كلام أحد . لابطريق التصريح . ولا بطريق التلويح .. كانت باطلة . اذ لامستند لها . على أنها اذا كانت خارجة عن كلامهم فلا معني لادخالها فيه مع كونها أجنبية مما قالوه فكيف تدخل فى فنهم وتضاف الى ما قالوه ويجري عليها حكمه اه

ثم اشاروا الى الجواب بما نقلناه من كلماتهم

أمانحن فنرى أن الاعتراض المذكوره واه لايستحق ما اعطاه الشراح من العناية . ولا يحتاج فى الجواب عنه الى ذلك التكلف الذى اعتسفوه . فليس ثمت أقل حرج فى أن يفتح الله من خزائن علمه لمن شاء من عباده فيزيد على ما كان للمتقدمين من علوم . أو يلحق بعلومهم ماأغفلوا من القواعد التى يجب أن تدخل فى العلم وتصير جزءا منه على رغم صاحب الايراد . والعجب له كيف يقول ـ فكيف تدخل في فنهم ـ كأنهم صاروا اصحاب الفن مقصوراً عليهم لايقبل الشركة ولايحتمل غيرهم ! والذى نعرفه ان المال يقبل الاحتكار . وكل نعيم على وجه الارض قد يتسابق الناس الى احتكاره والاستبداد به . يدأننا لم نسمع أن العلم مما يسوع احتكاره ويمكن الاستبداد به وانما العلم كالشمس . ولايمكن الا ان يكون شركة بين الناس . وكان ذلك فضلا للعلم كبيرا

ولئن كنا لانرى للايراد المذكور وجها فأننا قد اعتبرنا جوابهم عنه . واستندنا اليه . لالأنه يدفع الايراد ولكن لانه بيان للواقع وتحقيق لكلام المؤلف

(وزوائد لم أظفر) اي لم أفز (في كلام أحد بالتصريح بها) أى بتلك الزوائد (ولا الاشارة اليها) بأن يكون كلامهم على وجه يمكن تحصيلها منه بالتبعية وان لم يقصدوها اه

وقال ابن يعقوب (ولا الاشارة اليها) وذلك بأن يدل عليها كلام أحدهم ولو بمطلق الالتزام . أوبالمفهوم الأضعف فتؤخذ منه ولو لم يقصدها صاحب ذلك الكلام . ولا ينافي ذلك كون أصل مدركها قواعد هذا الفن بممارستهاوقواعد فن اخر لان مايدرك بممارسة القواعد ويحصل بها لا ينسب لأحد اه

وقال الامام بهاء الدين السبكى عند قوله وأضفت الى ذلك فوائد الخ . هذا الكلام ربما يخالف مابعده اه

ثم اننا بعد استقراء ما جاء به المصنف في كتاب التلخيص وتصفح ما كتبه السكاكي فى هذا الفن لم نعرف مواطن تلك الزيادة التي ذكرها المصنف اللهم ألا ما اعترض به على السكاكي فى بعض المواضع وما ذهب اليه فى تحقيق الاستعارة بالكناية - كما يؤخذ من كلام السعد فى المطول - وهى زيادة ليست في جوهر الفن ومعدنه كما قلنا

الكتاب الثانى مما كتبه الخطيب فى هذا الفن كتاب الايضاح . ولا حاجة بنا الى بسط القول فى مقدار

هذا الكتاب من الجهة التاريخيه . وانما ننقل من خطبته اقرار المؤلف لنفسه واعترافه بمقداره . قال ـ اما بعد فهذا كتاب فى علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح . وجعلته على ترتيب مختصرى الذى سميته تلخيص المفتاح . وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له فأوضحت مواضعه المشكلة . وفصلت معانيه المجمله . وعمدت الى ماخلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة . والى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله . وهذبتها ورتبتها حتي استقر كل شيء منها فى محله

وأضفت الى ذلك . ما أدي اليه فكرى . ولم أجده لغيرى فجاء بحمد الله الخ اه

وقوله ما أدى اليه فكري الخ . لا نقول فيه شيئاً غير ماقلناه عند نظيره من كلام التلخيص

ومجمل ما نريد أن نقرره عن الامام الخطيب أنه قد خدم كتب السابقين فأحسن جزاه الله خدمتها . جمع شتاتها . وفصل مجملاتها . وهذب قواعدها . وأحكم ترتيبها وتبويبها . ففضله في ذلك كبير وعمله جليل . ولكنه لم يخدم علم البيان في نفسه . فهو خادم الكتب لا خادم العلم . رحمه الله تعالى وأحسن له الجزاء

*
* *

السيوطى وكتبه

عرف بعد الامام الخطيب . الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ونقلنا عنه فيما كتبه عن نفسه . أنه وصل فى علم البيان الى ما لم يصل اليه ولم يقف عليه أحد من أشياخه فضلا عمن هو دونهم . وذكر أن ذلك شأنه في ستة علوم أخر . التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع . ثم قال وأما الفقه فلا أقول فيه ذلك. بل شيخى فيه أوسع نظراً وأطول باعا - لعله يريد شيخه . شيخ الاسلام علم الدين البلقيني - وقد راجعنا ماكتبه بنفسه عن تآليفه فى علم البيان فاذا هى (١) نكت على التلخيص تسمى الأفصاح (٢) عقود الجمان في المعانى والبيان (٣) شرح عقود الجمان (٤) شرح أبيات تلخيص المفتاح (٥) مختصره (٦) نكت على حاشية المطول للفنرى (٧) حاشية على المختصر (٨) البديعة (٩) النقاية في أربعة عشر علما (١٠) شرحها

والذى ينبغي لنا الوقوف عليه من هذه الكتب انما هو عقود الجمان والنقاية . وشرحاهما . أما باقيها فيدل اسمه على أن المؤلف قد أراد بها خدمة كتب معينة على طريقة لاتؤثر في الفن شيئاً كما هو دأب الشراح عموماً . والامام السيوطي منهم خصوصاً . أما كتاب النقايه فقد

تصفحناه مع شرحه . وقرأنا ما كان منه في علم البيان . فاذا به مختصر نافع للمحصلين ولكنه في تاريخ الفن لا يزن فتيلا ولا قطميراً . الا أنه دون تلخيص الخطيب . وأما كتاب عقود الجمان فهو أرجوزة للمؤلف شرحها بنفسه . ولم يجيء فيها بشيء من جوهر البيان أو ترتيبه غير ما جاء به الخطيب القزويني . وخطبة الكتاب واضحة في ذلك لمن نظرها . ولئن قلنا ان الخطيب قد خدم كتب السكاكي فأن ثبت « قائمة » الكتب التي ذكرها السيوطي لنفسه يضطرنا أن نقول أنه خادم الامام الخطيب

*
* *

وقوف علم البلاغة بعد الخطيب

ولا عجب فقد كانت كتب الامام الخطيب غاية ما وصل اليه الابداع والاتقان في علم البيان . ظن ذلك العلماء الذين جاءوا من بعده . فوقفوا بالعلم عند حده وزعموا أن الأول لم يترك شيئاً للآخر . فليس لنا الا أن نأخذ منهم ما أعطونا من العلوم . لا نأمل الزيادة عليه . ولا تحدثنا نفسنا بالتغيير فيه أو اصلاحه . وما لنا الا أن نبحث في كتبهم عن كنوز العلوم . فما أمكن استخلاصه منها أخذناه وما لم يمكن تركناه لمن يجيء بعدنا . فلذلك وقفت الهمم عن

تناول صميم العلم وجوهره وانتهت قدرة المتأخرين عند تلك الكتب ينظرون في ثناياها . ويبحثون في خفاياها . ويقلبونها ظهر البطن . ويعتصرون العلم اعتصاراً من بين جملها ومفرداتها ذلك بما ظنوا أن العلم لا يصح الا أن يطلب منها . وبين دفتيها - على ذلك وقف علم البيان عن التقدم . ألا ما كان منه بحثاً في كلمة لعبد القاهر أو جملة للسكاكي أو تقدير مضاف فى كلام الخطيب أو نحو ذلك مما تراه في كتب السيوطي . ومن جاء بعده .

السعد والسيد والعصام وغيرهما

ولعل الامام السيوطي لم يعد في تاريخ علم البيان ألا لأنه ألف فيه كتباً مستقلة قائمة بذاتها عرفت للناس . وطبع بعضها . ولولا ذلك . لأهمل اسمه كما أهمل اسم كثير ممن تقدموه وكانوا من هذا العلم في مثل درجته أو يزيدون . ومن أشهر هؤلاء العلامة سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر توفي سنة ٧٩١ وكان شأنه في العلم كبيراً . وتناول كتاب التلخيص فأحسن خدمته والكتابة عليه . حتى اشتهر في ذلك بأكثر مما اشتهر الامام السيوطي . ولا يزال اسمه الى اليوم مشهوراً . وشرحه بيننا مأثوراً . ناهيك بما اختص به شرحه من الحواشي الواسعه والتقارير الفائضه . الا أنه لم يذكر مع هذا فى تاريخ علم البيان . ولم يقرن الى أسماء اصحاب الشأن فيه . ولا يمكننا تعليل ذلك الا بما أشرنا اليه من قبل .

فقد بحثنا عن تآليف السعد في علم البيان فاذا هي كما في دائرة المعارف للبستاني . شرحان مشهوران على كتاب التلخيص وشرح المفتاح للسكاكي . واذ لم نجد له كتابا في البيان قائماً بذاته رجحنا أن ذلك هو السبب في اغفاله من تاريخ العلم . وجدير بالامام السعد أن يكون كذلك . وانما هو جدير بالمقام الأول اذا ذكر تاريخ كتاب التلخيص للخطيب . أو كتاب المفتاح للسكاكي . أما في تاريخ البيان فالسعد ليس هناك . والسيوطي على كل حال أجدر منه بالذكرى

ومثل الامام السعد في ذلك . السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني وغيرهما

فما كان هؤلاء ـ ولاحياء في الحق ـ ألا خداما لكتب السابقين وعيا لاعليهم دون أن يكونوا خدام علم البيان من حيث ذاته . والحق الذي تجنح اليه أن السيوطي أخوهم في ذلك وهم فيه سواء . وبرغمنا أن نقول ان علم البيان كان آخر أيامه يوم كتب الخطيب تلخيصه . فاقتصر عليه من جاء بعده . ووقفوا أنفسهم على ما حوى من ترتيب وقواعد لايميلون عنه قيد شعره . ولا تطمح أنظارهم الى ما وراءه . لذلك لا نجد بعد الخطيب القزويني من يسند اليه في هذا الفن اصلاح . ولا يزال العلماء من لدن سعد الدين التفتازاني

الى عصرنا الحاضر واقفين عند حد الخطيب متتبعين خطاه. ولا عجب فهذا شأن كثير من العلوم العربية والدينية وسبحان من جعل العلوم كالعباد تسعد وتشقي. وتموت وتحيي. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

*
* *

(تعريف كل من علمي المعانى والبيان)

ترون مما قلناه في تاريخ علم البيان أن هذا العلم أخذ في حياته شكلين مختلفين. أولهما عند نشأته الأولى التي انتهت بكتب عبد القاهر الجرجاني. والثانى من لدن أن كتب فيه السكاكي الى وقتنا هذا.

فقد كان الأوائل يتناولون قواعد علم البيان جزءاً لا ينفصل من علم يبحثون فيه عن أسباب بلاغة الكلام. وأسرار حسنه وفصاحته. لذلك كانوا يقرنون الى مباحث المجاز والتشبيه والكناية ـ وهى أبواب علم البيان ـ أبواب الفصل والايجاز والقصر ـ وهى أبواب من علم المعاني ـ لا يفرقون بين المبحثين ولا يعتبرون تمايزا بينهما. وانما هما سوآءن فى نظرهم. موضوعهما واحد. وهو البحث في خصائص اللسان العربى. وغايتهما واحده. وهي معرفة

أسرار البلاغة في الكلام ودلائل الاعجاز في كتاب الله الكريم

أما الامام السكاكي وأتباعه فقد شطروا هذه المباحث شطرين . فجعلوا كل شطر منهما علما مستقلا سموا أحدهما المعانى والثانى البيان

وهـذه كلمة فى توضيح كل من المذهبين . والله المستعان

* * *

في أن الالفاظ المفردة لا تفاضل بينها في الدلالة

أعلم أن الالفاظ المفردة وضعت لمعان خاصة تؤدى بها . وتفهم منها . كما وضع الانسان والقيام وقام ومشى ومن والى لافادة معان خصها الواضع بها . وتكفل ببيانها علم متن اللغة . فاذا ذكر لفظ مفرد ذهب منه السامع الى معناه المفرد واستفاده منه .

ودلالة الألفاظ المفردة على معانيها الوضعية دلالة لا تقبل التفاوت . ولا يتصور بينها تمايز . فدلالة الانسان على الحيوان الناطق تساوى دلالة المرجوف ـ كعصفور ـ على الناقة اذا كانت شديدة ضخمة . والمصطع ـ كمنبر ـ على البليغ

الفصيح - لافرق بينها فى الدلالة بعد أن يكون السامع عارفا بوضعها لمعانيها

فالألفاظ المفردة من أجل ذلك لاتتفاوت مقاديرها فى البلاغة . ولا يقال فى لفظ منها أنه أبلغ فى معناه من لفظ آخر « وهل يقع فى وهم وأن جهد . أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم . بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة . وتلك غريبة وحشية . أو أن تكون حروف هذه أخف . وامتزاجها أحسن . ومما يكد اللسان أبعد » « فقد اتضح اذن اتضاحا لايدع للشك مجالا . أن الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة . ولا من حيث هي كلم مفردة » - راجع دلائل الاعجاز . فصل فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة الخ

ثم أن المعاني المفردة ليست فائدة السامع بها تامة . وانما يكتسب منها صوراً تقوم بذهنه منثورة مبعثرة . ليس لها نظام . ولا بينها ارتباط . فلذلك كانت الألفاظ المفردة خارجة عن مباحث البلاغة وعن مرمى نظر البليغ

*
* *

المركبات التامة هي التي تتفاضل مراتبها

فاذا انضمت كلمة الى كلمة . وركبت معها . وامتزجت بها على وجه يفيد اتصالا بين معنييهما تحصل به للسامع فائدة تامة يحسن السكوت عليها . فذلك هو الكلام التام الذى يتفاوت مقداره . وتتباين رتبه . ويتسابق البلغاء فى احراز جهات الحسن فيه والبراعة . ويتبارون في أكسابه أسباب الفصاحة والبلاغة . وما كان بحث العلماء قديماً الا في تعرف تلك الأسباب التي تجعل التركيب بليغاً مستحسناً. وفصيحا مستعذبا . فبذلوا فى ذلك مجهودهم . وكرروا فيه نظرهم . وكم كان لهم فى ذلك أخذ ورد . ومحو وأثبات. وآراء متخالفه . ومذاهب متعاديه .

المذاهب فى جهات حسن الكلام والمذهب الاول منها فى أن الحسن تارة يرجع الى اللفظ وتارة يرجع الى المعنى وقول مسلم ابن قتيبه فى بيانه

فمنهم من كان يزعم أن الحسن يعرض للكلام . تارة من جهة ألفاظه . اذا هى سلمت من التعقيد والتنافر . وسهلت على اللسان وحلى وقعها من الآذان . وتارة من جهة معناه . اذا كان حكمة مستظرفة أو أدبا مستملحا . أو مثلا مستحسنا . أو نحو ذلك . ولعل من أنصار هذا المذهب الامام أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفى سنة ٢٧٦ هـ حيث ذكر في مقدمة كتاب الشعر والشعراء أن من الشعر ما يكون حسنه راجعاً الى لفظه ومعناه . وما يرجع الى لفظه فقط . والى

معناه فقط . فمن الاول قول الفرذدق فى مـدح زين العابدين علي

في كفه خيزران ريحـه عبق
من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضي من مهابته
فلا يكلم الا حـين يبتسم

ومن الثاني قوله

ولما قضينا من منى كل حاجـه
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

قال . وهـذه الألفاظ أحسن شيء مطالع . ومخارج ومقاطع . فاذا نظرت الى ما تحتها وجدته . ولما قضينا أيام منى . واستلمنا الأركان . وعالينا ابلنا الأنضاء . ومضى الناس لاينظر من غدى الرائح . ابتدأنا في الحديث وسارت المطى فى الأبطح . ومن الثالث قوله

ما عاتب المرء الـكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

فقد جعل الحسن والبراعة في الكلام والفصاحة فيه والبلاغة. تعرض له تارة لأن معناه شريف. وتارة لان لفظه سهل منسجم. فهذا أحد المذاهب في أسرار البلاغة وحسن الكلام

* * *

المذهب الثانى فى رجوع الحسن الى اللفظ فقط وعبارة محتملة في ذلك لبشر بن المعتمر

وهنالك مذهب ثان في معني فصاحة الكلام وبلاغته. أشار اليه عبد القاهر فى كتبه. وهو أن الحسن انما يعرض للكلام من جهة سهولة لفظه. وحسن انسجامه. ولطف رونقه. وجودة ديباجته. ورقة حاشيته. وهذا ما يشاكل طريقة أهل البديع وأنصاره. مما يعمل عليها المحدثون. وينسجون على منوالها. كما فى شعر أبي الفتح البستي ومقامات الزمخشري والحريري وشعر المتنبي وأبى تمام فى بعض الأحيان وأمثالها. وقرأنا في كلمة لبشر بن المعتمر. رئيس طائفة البشرية من المعتزله. في أوائل القرن الثالث ما قد يشير الى هذا المذهب وينحو نحوه. قال. وكن فى ثلاث منازل. فأن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا. وفخما سهلا. ويكون معناه ظاهراً مكشوفا. أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت. وأما عند العامة ان كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة. وكذلك

ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وانما مدار الشرف على الصواب . واحراز المنفعة . مع موافقة الحال . وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك . وبلاغة قلمك . ولطف مداخلك . واقتدارك على نفسك . على أن تفهم العامة معاني الخاصة . وتكسوها الألفاظ الواسطة . التي لا تلطف عن الدهماء . ولا تجفو عن الأكفاء . فأنت البليغ التام الخ الخ .

وسواء صح أن هذا الكلام يجرى على رأي البديعيين أو لم يصح . فأن هذا المذهب وجد ولقي أنصاراً . ولا نزال نرى من أنصاره الى اليوم

جاء الامام عبد القاهر وقد شاع فى زمنه هذا الرأي . وكثر أنصاره . فتجرد لرده وابطاله . وأطنب فى ذلك ما شاءت له الحجة الصادعه . والبديهة المطاوعه . والبلاغة الرائعة . ففاضت جوانب كتابه دلائل الأعجاز بالقول على هذا المذهب ونقده وتزييفه . وكذلك لم يرض عبد القاهر بالمذهب الأول . فأشار بلطف الى أبطاله . وأشار في أثناء كلامه على الأبيات السابقة

ولما قضينا من منى كل حاجة . الخ .

الى بطلان رأي ابن قتيبة في أن الحسن عرض لها

من قبل ألفاظها وسلاستها « راجع فاتحة أسرار البلاغة »

*
* *

المذهب الثالث لعبد القاهر أن الحسن فى الكلام من جهة النظم

واذ قد بطل هذان الرأيان بقي مذهب ثالث هو الذى أيده عبد القاهر. وتصدى فى كتبه للنضال دونه وتفصيل القول فيه. فقال ما معناه - أن الحسن الذى زعمتم أنه عرض للألفاظ من جهة سلاستها وسلامتها من التنافر والغرابة ونحوهما. ليس هو ذلك الحسن الذى تتطلع اليه أنظار البلغاء. وتتفاوت فيه اقدار القائلين. وتتبارى جياد الشعراء والمتكلمين. وكذلك الحسن فى الكلام من جهة اشتماله على معنى شريف. ومثل ظريف. ليس هو الحسن الذى ننشده. ونجعل الكلام فيه. ونشد الرحال فى طلبه والبحث عنه

وانما يمدح الكلام ويحسن. ويبلغ ويفصح. وتتفاوت رتبه. وتختلف مقاماته. حتى يكون منه المعجز وغير المعجز. بحسن نظمه. ودقة ترتيبه. ومراعاة مطابقته لمقتضى الحال.

*
* *

ذلك أن لنا في كل جملة تقال. ألفاظا كانت قبل التركيب مفردة. ثم تلاحقت وتضامت حتي كان منها هيأة مركبة.

وجملة واحدة تدل على معنى وضعي لها . من اثبات شيء لشيء . أو نفيه عنه . سواء كانت الجملة حقيقة أو مجازا . خبرا أو انشاآء . اسمية أو فعلية . ذات متعلقات من مفعول أو حال أو تميز . أو لا متعلق لها . فالجملة على كل حال حين النطق بها دالة على معنى وضعت للدلالة عليه . وذلك هو الذى نسميه معني أول . ونقول أن كل كلام عربي صحيح التركيب دال عليه . ومؤد أياه . لاتتفاوت في ذلك جملة وجملة . ولا يمتاز فيه قول عن قول · ضرورة أن دلالة الجمل على ذلك المعنى دلالة وضعية اقتضاها تركيب الكلام . ولا يمكن أن يؤدي المعني بدونه . فكان مثلها في ذلك مثل دلالة الالفاظ المفردة على معانيها الوضعية . وقد عرفت هنالك أنه لا يعقل فيها امتياز ولا تفاضل ـ فقولنا مثلا اشتمل ثوب فلان على الكرم . وقولنا محمد مجتهد . وضرب زيد عمراً . وركبت الفرس مسرجا . ولا تضرب خادمك وأكرم ضيفك . كل ذلك كلام يتساوى طرفاه في افادة معناه الاول . الذي هو افادة كرم فلان . واجتهاد محمد الخ . وهذا هو المعني الاول . وهو الذي نسميه أيضا أصل المعني ونقول ان الكلام في افادته له منزل منزلة أصوات الحيوانات وفي الدرجة السفلي التي لا انحطاط بعدها . اذ كان خاليا من الصنعة ـ ومشتملا على أقل ما يجب الاشتمال عليه ليكون

مفيدا . لم يلاحظ في ترتيبه والنطق به أكثر من تأدية أصل المعني . ومن أجل ذلك قالوا انه لما صدر من المتكلم على هذه الحيثية كان كأصوات الحيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق

ثم اننا اذا أعدنا الي الجمل نظرة ثانية . وتأملنا في كل كلام مفيد يصدر من قائل . فاننا نجد لكل كلمة وقعت في أثناء الجملة أحوالا عرضت لها . وصفات قامت بها . لهذه الأحوال والصفات العارضة معان خاصة زائدة على أصل المعني . يبحث علم النحو عن هذه الأحوال. ويتعرض للكلام عليها . ككون اللفظ نكرة أو معرفة بالألف واللام أو بكونه ضميرا أو علما أو اسم اشارة . وككون اللفظ مذكوراً أو محذوفا. وكونه صفة أو موصوفا . وكونه معطوفا عليه أو معطوفا . وكون خبر المبتدا اسما أو فعلا . مقيدا بمتعلق أو غير مقيد الخ . وكذلك تعرض للجمل أحوال وصفات كالتي تعرض للمفردات . فتكون مقصورة وغير مقصورة . مفصولة أو موصولة خبرا أو انشاء . موجزة أو مطنبة . مقيدة بالشرط ونحوه أو غير مقيدة . فهذه كلها أحوال . يبحث عنها في علم النحو . قد عرضت للألفاظ بعد أن دلت على معانيها الأولى . ولكل حال من هذه الأحوال معنى

تدل عليه ويفهم منها . كما يدل تنكير الاسم اذا كان مسندا اليه على تعظيم مدلوله أو تحقيره . نحو قوله

له حاجب عن كل أمر يشينه

وليس له عن طالب العرف حاجب

فقد أعطاك التنكير فى حاجب الأول معنى التعظيم والتكبير . كأنه قيل ان حاجبه عن الشين والذام حاجب عظيم كبير . وعلى العكس من ذلك حاجب الثانى . فمعناه ليس له عن العفاة أقل حاجب

وكما يدل تعريف الاسم باللام على معنى الاستغراق . فى نحو قوله تعالي . ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الخير منوعا . الخ .

وكما يدل العطف بالفاء على معني الترتيب من غير تراخ . بخلاف العطف بثم

وكما أن تقييد الجملة بالشرط . اذا كان حرف التعليق اذا . يدل على أن الجزاء محقق أنه يقع ويكون . بخلاف ما اذا كان حرف التعليق ان . كما ترى في الفرق بين الشرطين في قوله تعالي ـ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه . وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه ـ فهذه كلها وجوه عرضت للألفاظ حين تركيبها . ولكل وجه منها معنى خاص يفهم منه كما رأيت . تلك الوجوه هي مايسمي عندهم معاني النحو

أي المعاني التي يبحث عنها في علم النحو . وهي الأحوال العارضة للكلم والجمل باعتبار تركيب بعضها مع بعض . دون حال افرادها . كالتعريف والتنكير والعطف وتركه الخ. وهذه الأحوال أيضا تسمى الخصوصيات . ومعانيها التي تفهم منها . وتكون هذه الاحوال والفروق في الكلام دالة عليها . تسمي عندهم بالمعنى الثاني . لأن دلالة الكلام عليها تالية لدلالته على المعنى الأول الوضعي الذى عرفته

اذا عرفت هذا فالبلاغة في الكلام . واستحقاقه المدح والثناء . يكونان بأن تلاحظ فيه هذه الوجوه والفروق ويعطى الكلام منها بقدر ما يحتاجه المقام وما تمس اليه الحاجة فتجيء بالتنكير او التأكيد او الفصل او الاطناب . الخ . حيث يكون المقام محتاجا الى أن تدل على المعنى الذي يفهم من هذه الأحوال . فبقدر ما تلاحظ هذه الفروق . ويصاب بها موضع الصحة . يكون حظ الكلام من الحسن . ومبلغه من الجودة والشرف

ذلك هو معنى ما يقول عبد القاهر . من أن الذى يمدح به الكلام ويذم . ويسمو وينحط . والذى يتواصفه البلغاء . وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله . هو النظم

قال – واعلم أن ليس النظم ألا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو . وتعمل على قوانينه وأصوله . وتعرف

مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها . وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها . وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه . غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه . فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق. وزيد ينطلق . وينطلق زيد . ومنطلق زيد . وزيد المنطلق . والمنطلق زيد . وزيد هو المنطلق . وزيد هو منطلق . وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك ان تخرج أخرج . وان خرجت خرجت . وان تخرج فأنا خارج . وأنا خارج ان خرجت . وأنا ان خرجت خارج . وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعا . وجاءني يسرع . وجاءني وهو مسرع . أو وهو يسرع . وجاءني وقد أسرع . فيعرف لكل من ذلك موضعه . ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معني ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى . فيضع كلا من ذلك في خاص معناه . نحو أن يجيء بما في نفي الحال . وبلا اذا أراد نفي الاستقبال . وبان فيما يترجح أن يكون وأن لا يكون . وباذا فيما علم أنه كائن . وينظر في الجمل التي تسرد . فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل . ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء . وموضع الفاء من موضع ثم . وموضع أو من موضع

أم . وموضع لكن من موضع بل . ويتصرف في التعريف والتنكير . والتقديم والتأخير . في الكلام كله . وفي الحذف والتكرار . والأضمار والاظهار . فيضع كلا من ذلك مكانه . ويستعمله على الصحة وعلى ماينبغي له اه

وحاصله أن تراعي في هذه الأحوال العارضة للفظ معانيها الموضوعة هي لها . وتختار منها ما يكون مناسباً للحال ومقتضى للمقام

*

* *

نبذ من كلام عبدالقاهر فيها توضيح وأمثلة

واليك نبذا من مواضع شتى في دلائل الأعجاز . تزيد مذهب عبد القاهر وضوحا عندك ـ وفيها بعد تمرين للقارىء . وشحذ لبصيرته ـ قال ـ وليس من أحد يخالف في نحو قول الفرزدق

(١) وما مثله في الناس ألا مملكا

أبو أمـه حي أبوه يقاربه

وقول المتنبي

وكذا اسم أغطية العيون جفونها

من أنها عمل السيوف عوامل

---

(١) أصله وما مثله حي يقاربه في الناس الامملكا ـ أبوأمه أبوه

وقوله (١) الطيب أنت اذا أصابك طيبه
والماء أنت اذا اغتسلت الغاسل

وقوله (٢) وفاؤ كما كالربع أشجاه طاسمه
بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وقول أبي تمام
ثانيه في كبد السماء ولم يكن
كاثنين ثان اذ هما في الغار

وقوله (٣) يدى لمن شاء رهن من يذق جرعا
من راحتيك درى ما الصاب والعسل

وفي نظائر ذلك مما تواصفوه بفساد النظم . وعابوه من جهة سوء التأليف . أن الفساد والخلل . كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب . وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف أو اضمار أو غير ذلك ما ليس له أن يصنعه . وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم .

واذا عرفت ذلك . فاعمد الى ما تواصفوه بالحسن . وتشاهدوا له بالفضل . ثم جعلوه كذلك من أجل النظم

---

(١) (انت) مبتدأ ، (طيبه) ـ خبر
(٢) (اشجاه طاسمه) جملة اسمية
(٣) (يدى) مبتدا (رهن) خبر (لمن شاء) متعلق برهن

خصوصاً . دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر . من معني لطيف . أو حكمة أو أدب أواستعارة أو تجنيس أو غير ذلك . مما لا يدخل فى النظم . وتأمله . فاذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت . فانظر الى حركات الأريحية مم كانت ؟ وعندما اذا ظهرت ؟ فأنك ترى عيانا أن الذى قلت لك كما قلت ـ أعمد الى قول البحترى

بلونا ضرائب من قد نرى
فما ان نرى لضريب ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا
ت عزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل فى خلقي سؤدد
سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخا
وكالبحر ان جئته مستثيبا

فاذا رأيتها قد راقتك . وكثرت عندك . ووجدت لها اهتزازا فى نفسك . فعد فانظر فى السبب . واستقص فى النظر . فانك تعلم ضرورة أنه ليس الا أنه قدم وأخر . وعرف ونكر . وحذف وأضمر . وأعاد وكرر . وتوخى على الجملة

وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو . فأصاب في ذلك كله . ولطف موضع صوابه . وأتى مأتى يوجب الفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله « هو المرء ابدت له الحادثات » ثم قوله . (تنقل فى خلق سؤدد) بتنكير السؤدد واضافة الخلقين اليه . ثم قوله (فكالسيف) وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدا . لأن المعنى لامحالة . فهو كالسيف . ثم تكريره الكاف فى قوله (وكالبحر) ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه . ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر وذلك قوله (صارخا) هناك و (مستثيبا) هنا

واذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو . وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه . فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة - ليس لها غاية تقف عندها . ونهاية لاتجد لها ازديادا بعدها . ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها . ومن حيث هي على الاطلاق . ولكن تعرض بحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام . ثم بحسب موقع بعضها من بعض . واستعمال بعضها مع بعض . تفسير هذا أنه ليس اذا راقك التنكير في سؤدد من قوله « تنقل في خلق سؤدد » وفى « دهر » من قول ابراهيم بن العباس

فلو أذنبا دهر و أنكر صاحب

وسلط أعداء وغاب نصير

فأنه يجب أن يروقك أبدا . وفى كل شيء . ولا اذا استحسنت لفظ ما لم يسم فاعله فى قوله (وأنكر صاحب) فأنه ينبغي أن لا تراه في مكان الا أعطية مثل استحسانك هنا . بل ليس من فضل ومزية الا بحسب الموضع . وبحسب المعنى الذى تريد والغرض الذى تؤم

ومن بديع النظم قول الأول . وتمثل به أبو بكر الصديق رضوان الله عليه . حين أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم

تمنانا ليلقانا بقوم تخال بياض لأمهم السرابا
فقد لاقيتنا فرأيت حربا عوانا تمنع الشيخ الشرابا

أنظر الى موضع الفاء فى قوله ـ فقد لاقيتنا فرأيت حربا ـ

ومثل قول العباس بن الأحنف

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا

ثم القفول فقد جئنا خراسانا

أنظر الى موضع الفاء . وثم قبلها ـ ومثل قول ابن

الدمينه

أيمنى أفي يمنى يديك جعلتنى
فأفرح أم صيرتنى في شمالك
أبيت كأنى بين شقين من عصي
حذار الردى أو خشية من زيالك
تعاللت كي أشجي وما بك علة
تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

أنظر الى الفصل والاستئناف فى قوله (تريدين قتلى قد ظفرت بذلك) ومثل قول أبى حفص الشطرنجى . وقاله على لسان علية أخت الرشيد . وقد كان الرشيد عتب عليها .

لو كان يمنع حسن الفعل صاحبه
من أن يكون له ذنب الى أحد
كانت علية أبرى الناس كلهم
من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه
قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى

انظر الى قوله (قد كنت أحسب) والى مكان هذا الاستئناف ـ ومثل قول ابن البواب

اتيتك عائذا بك منك لما ضاقت الحيل
وصيرنى هواك وبى لحيني يضرب المثل

فان سلمت لكم نفسي　　فما لاقيته جلل
وان قتل الهوى رجلا　　فأنى ذلك الرجل

انظر الى الاشارة والتعريف فى قوله (فانى ذلك الرجل) اه من دلائل الاعجاز بتصرف

وقد أطال عبد القاهر فى بيان ما سماه بالنظم . وقال عنه انه توخي معاني النحو الخ . وجعل كتابه دلائل الاعجاز في بيان هذه المعاني . وتوضيح تلك الوجوه والفروق . التي تعرض فى الكلام فتكون سبب المزية له . والارتفاع في درجته .

*
* *

علم البلاغة على مذهب عبد القاهر

وكما ذهب عبد القاهر الى أن النظم سر من أسرار البلاغة . ووجه من وجوه حسن الكلام وجودته . كذلك هو يرى أن الكلام قد يعرض له الحسن بسبب آخر غير النظم . كما اذا اشتمل على استعارة مستحسنه . أو تشبيه مستظرف . أو كناية جميلة . فكل هذه أبواب تكسب الكلام لطفا . وتكسوه عجابا . قال في اسرار البلاغة (وكا ن جل محاسن الكلام . ان لم تقل كلها . متفرعة عنها . وراجعة اليها . وكأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرفاتها . وأقطار تحيط بها من جهاتها) اه وقد جعل عبد القاهر كتابه

أسرار البلاغة فى بيان تلك الأسباب . غير النظم . التى تكسب الكلام قدراً وخطراً . كما كان كتابه دلائل الاعجاز فى بيان أمر النظم خاصة . دون الاستعارة وأخواتها . الا قليلا . والحاصل أن عبد القاهر كان لايرى الا علما واحدا . غاية الباحث فيه أن يتعرف مزايا الكلام البليغ . وأسرار بلاغته . فكل ما كان بحثا فى مزية من المزايا . وسر من الأسرار يكون داخلا تحت ذلك الفن . ومندرجا فى موضوعه .

وعلى ذلك بحث عبد القاهر فى أبواب النظم والاستعارة . والمجاز . على أنها أبواب من ذلك العلم الواحد . فى اسمه وغايته وموضوعه . لافرق فى رأيه بين مباحث النظم . التى صارت بعد علم المعانى . وبين مباحث المجاز . التي صارت علم البيان ـ وقد سبق تفصيل ذلك

وقد رأينا عبد القاهر يسمى ذلك العلم تارة علم الخطابة ونقد الشعر ـ كما كان يسميه السابقون ـ وورد فى دلائل الاعجاز تسميته بعلم الفصاحة والبيان . وكانت مباحث هذا العلم عند الامام الجرجانى داخلة فى بابين باب التشبيه والمجاز والكناية . وباب النظم أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال فذانك هما البابان الأهمان فى علم البلاغة لم يذكر غيرهما فى كتابيه الا ما ورد عرضا من مباحث الحشو والتجنيس

والسجع ونحوها

*
* *

الفصاحة والبلاغة عند عبد القاهر

وننبه هنا الى أن عبد القاهر كما لم يفرق بين المعانى والبيان . كذلك لم يرد في كلامه اشارة الى الفرق بين فصاحة الكلام وبلاغته . بل يذهب كلامه مذهب الترادف بينهما . وانكار أن يكون بينهما تفاوت ما . كما أشار الى ذلك فى أثناء فصل من دلائل الاعجاز . فى تحقيق القول فى البلاغة والفصاحة

*
* *

طريقة السكاكى فى علم البلاغة

الامام السكاكي نظر الى مباحث علم البلاغة نظرة فلسفية جمعت طرفيها . وأحاطت بها . وقسمها تقسيما حاصرا . وحددها حتى تمتاز عن غيرها امتيازاً تاماً . وذلك أنه وجد المتقدمين قد تركوا مباحث هذا العلم مفتحة الأبواب عامة الموضوع . اذ كان كل بحث يتعلق بأسرار بلاغة الكلام وحسنه . يجوز أن يضاف الى هذا الفن . ويزاد عليه . وكان لكل رجل ظن الكفاءة بنفسه . أن يلحق بهذا العلم مايدله النظر على أنه داخل في موضوعه . وكأن السكاكي

خاف على علم البلاغة من ذلك الاطلاق . الذى يجعل الحرية فيه فوضى يوما من الأيام .

فنظر الى هذا العلم نظرة فلسفية . تحدد ماينه وبين سائر علوم الأدب من النسبة والارتباط . وتميزه عنها امتيازاتاما . وتحصر أبوابه ومباحثه حصرا عقليا . حتى لا يبقى محل للخوف عليه من دعي دخيل

قال السكاكي في أول كتاب مفتاح العلوم ـ وجعلت هذا الكتاب ثلاثة اقسام . القسم الأول في علم الصرف . القسم الثاني في علم النحو . القسم الثالث في علمي المعاني والبيان والذى اقتضى عندي هذا . هو أن الغرض الأقدم من علم الأدب لما كان هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب وأردت ان أحصل هذا الغرض . وأنت تعلم أن تحصيل الممكن لك لا يتأتى بدون معرفة جهات التحصيل واستعمالها . لا جرم أنا حاولنا ان نتلو عليك في الأربعة الأنواع . مذيلة بأنواع أخر . مما لا بد من معرفته في غرضك . لتقف عليه ثم الاستعمال بيدك . وانما أغنت هذه لأن مثارات الخطأ اذا تصفحتها ثلاثة . المفرد . والتأليف . وكون المركب مطابقا لما يجب أن يتكلم له ـ وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي المرجوع اليها في كفاية ذلك : ما لم يتخط الي النظم . فعلما الصرف والنحو يرجع اليهما في المفرد والتأليف . ويرجع الي

علمي المعاني والبيان في الاخير اه

فأنت تراه كيف احتال في تحديد نسبة المعاني والبيان الى سائر علوم اللسان العربي . حتى لم يبق محل اشتباه في ذلك . ولا لبس بين علم منها وعلم . وذلك أن علم النحو والصرف يحترز بهما عن الخطأ في تركيب الكلام . من حيث اعرابه وبناؤه . وعن الخطأ في تصريف المفردات . وليس بعد تصحيح المفردات واعراب الجمل الا مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى المقام . وتلك وظيفة علم البلاغة الذي ينتظم المعاني والبيان

*
* *

وبقي عليه بعد ذلك . القول في تحديد نسبة كل من المعانى والبيان الى بعضهما . وقد قال السكاكي في بيان ذلك — اعلم أن علم المعانى هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة . وما يتصل بها من الاستحسان وغيره . ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره . . . وأما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى في طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه . وبالنقصان . ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه . . . ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني

لا تنفصل عنه الا بزيادة اعتبار • جرى • منه مجرى المركب من المفرد • لاجرم آثرنا تأخيره اه

*
* *

وتوضيح طريق السكاكي في ذلك . أنه اعتبر المباحث التي ترجع الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وهي التي تسمى في مصطلح عبد القاهر بمباحث النظم • علما واحداً سماه علم المعاني

قيل فى سبب اختيار هذا الاسم - انه يبحث فيه عن الكيفيات والخصوصيات التي تعتبر فى المعانى أولا وبالذات وفي الألفاظ ثانياً وبالعرض • فنبهوا على أن هذا العلم يتعلق بالمعاني وكيفياتها لا بالألفاظ نفسها على ما سبق الى بعض الأوهام اه

ومما طن على أذني الآن أن يقال انه انما سمى علم المعاني لانه باحث عن معاني النحو على ما سبق بيانه • ولعل ذلك مما قرأناه في كلام غيرنا • الا أننا لا نتذكر موضعه • او لعله مما هدانا الله اليه

*
* *

علم البيان واسمه

أما علم البيان • فهو العلم الذي يبحث فيه عن أبواب

التشبيه والمجاز والكناية . من حيث أنها طرق مختلفة لتأدية المعنى الواحد . تارة بطريق واضحة لا شيء فيها من الخفاء . وتارة بطريق فيها خفاء قليل أو كثير . مراعى في ذلك ما يقتضيه المقام . وما يتطلبه ظرف الكلام . فخطاب الذكي يناسبه من الاعتبار وخفاء المجاز أو الكناية أو دقة التشبيه وتفصيله ما لا يناسبه خطاب الغبي من الوضوح والظهور . فلذلك أفردت هذه المباحث من حيث أنها طرق مختلفة . وجعلت علما واحداً هو الذي سماه السكاكي (علم البيان)

وانما سمي هذا العلم بيانا (١) . اما لأنه باحث عن الطرق المختلفه التي تستعمل لأجل وضوح المعنى وبيانه للسامع . من قولهم بان الشيء بيانا . اتضح وظهر . واما أن يكون مأخوذا من البيان . بمعنى الافصاح مع ذكاء . وانما كان هذا العلم بيانا بذلك المعنى . لأنه هو الغاية المقصودة

---

(١) جاء في حواشي المطول . نقلا عن السعد . أنه سمي بيانا لأن علم البيان يتعلق باظهار تمام المراد . وبيانه بالطرق المختلفه . بحيث لا يحتوي على تعقيد فيه اه . أما الوجهان اللذان ذكرناهما في الكتاب فقد ذكرناهما في الأصل غير معزوين لاحد . ثم راجعنا ما بأيدينا من الكتب . فلم نجد من ذكرهما ولعلهما من عندنا . والله أعلم

منه . والثمرة الناتجة عنه) اه

هذا . وكما أن مباحث المجاز والتشبيه والكناية . تمتاز عن علم المعاني . من حيث هي طرق مختلفه . فأنها تدخل فى علم المعانى باعتبار أنها تطابق مقتضي الحال أولا تطابقه . كما سبقت الاشارة الى ذلك قريبا . فبذلك يكون البحث عنها شعبة من مباحث المعانى . لا تنفصل عنها الا بزيادة اعتبار . وهو اعتبارها طرقا مختلفة . لذلك قال السكاكي – انه جرى منه مجرى المركب من المفرد –

*
* *

الفصاحة والبلاغة عند السكاكي

على هذا النحو ميز السكاكي بين علم المعاني والبيان . وفصل مباحثهما . وقد وقع له فى أثناء ذلك كلام فى معنى فصاحة الكلام وبلاغته . ذهب فيه مذهب التفريق بين المعنيين . وجاء لكل منهما بتفصيلات وتنويعات . لا تتفق مع مذهب عبد القاهر . ولم نر غيره يوافقه عليها . ولم نعرف له مستندا فيها . على أننا لسنا فى حاجة الى أنكارها عليه أو موافقته . مادام موضوعنا لا يضطرنا الى هذا البحث ولا فائدة لنا منه الآن

بعد أن تم للسكاكي ما أراده من بيان نسبة علوم البلاغة الى غيرها ومن تحديد العلاقة بين علمي المعاني والبيان . بقي

عليه أن يحدد أبواب علم البيان تحديداً منطقياً. ويحصرها ـ على طريقته ـ حصرا عقليا. وذلك هو غرضه الأهم. ومقصده الأعلى حتى لا يبقى محل للزيادة عليها. أو الاختصار منها ـ وسيجيء بيان رأيه في ذلك عند الكلام على أبواب علم البيان

والآن نستعين الله تعالي لنقول كلمة في مذهب السكاكي الذي اختاره في معني علم البيان . ونفاضل بين رأيه وراي عبد القاهر . ولعل الله تعالي يوفق الي السداد

*
* *

بحث فى جعل ايراد المعنى الواحد الخ . جهة الوحدة بين ابواب علم البيان

انا لا ندرك وجها للقول بأن علم البيان باحث عن ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . فانا نعتقد أن هذا المعنى لم يكن يجول بأذهان المتقدمين الذين وضعوا قواعد الفن. وهذبوها وضبطوها . من قبل أن يكون السكاكي ويكون تحقيقه هذا . وما كان عبد القاهر والذين قبله يفهمون فى المجاز والكناية والتشبيه أنها طرق من الكلام مختلفة فى تأدية المعنى الواحد . ولئن فهموا ذلك وأدركوه فما هو بشيء ذي بال يدعو الي البحث عنها . والتاليف فيها . ومعاناة استخراج قواعدها ـ وضوابطها وشواهدها . ولكنهم حين توجهوا الي البحث في هذه الأبواب . كانوا لا غير باحثين

عن أسرار بلاغة الكلام . ودلائل اعجاز القرآن . وليس عن طرق التادية المختلفة . كما يرى السكاكي رحمه الله تعالى

*
* *

وفضل طريقة المتقدمين على ما سلك السكاكي . أن علوم البلاغة كانت عندهم قابلة للزيادة . مستعدة للنماء اذ كان حاصلها . البحث عن كل ما يكسب الكلام قدرا وشرفا . وعن أسرار حسنه وبلاغته . فعرف السابقون من هذه المباحث ما عرفوا . واهتدوا الى معرفة المجاز والكناية والتشبيه والايجاز والاطناب الخ . ولم تعرف لهم هذه الأبواب دفعة واحدة . ولكنها كانت أسرارا تكشفها لهم الأيام واحدا بعد واحد . وكنوزا تنفتح عليهم حينا بعد حين . كلما توغلوا في البحث . وأمعنوا في النظر . ويشبه ذلك طريقتهم في استخراج علم البديع . اذ كانوا يعرفون النوع البديعي فى الجيل بعد الجيل . كلما كرروا النظر . ودققوا البحث . ولو بقي البحث على هذه الطريقة وتتابعت الأنظار كذلك . بعد الشيخ عبد القاهر . لكشفنا من أسرار بلاغة اللسان العربي شيئاً كثيرا . غير الذي كشفوا . ولفتحنا من كنوز هذه اللغة الشريفة الغنية أضعاف ما فتحوا . مادمنا نعتقد أن كمال هذه اللغة لاينفد.

وأن حلاوة القرآن فى بلاغته لا تبرح تجدد . وأنك كلما زدت اللغة نظرا وبحثا . زادتك من كنوزها وأسرارها. كما قيل

يزيدك وجهه حسنا　　اذا ما زدته نظرا

أما السكاكي فقد حاول أن يقف بعلوم البلاغة عند حدها الذي وجدها عنده. فدعاه ذلك الى أن يتكلف في معني الفصاحة والبلاغة . ويضع لهما من الضوابط ما يضع . ذلك ليتيسر له أن يحصر كلا من المعانى والبيان حصرا عقليا لا يبقي بعده أمل في الزيادة . وان دعاه ذلك الي ما دعاه رحمه الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الأمور

*
* *

﴿علم البيان﴾

يتناول علم البيان ثلاثة أبواب . التشبيه . والمجاز . والكناية . لاخلاف فى ذلك بين المتقدمين والمتأخرين . الا بما عرفت قبلا من تغاير الاعتبارين . بين المذهبين . اذ كان السابقون لا يرون انحصار العلم فى هذه الأبواب . ووقوفه عندها . وعدم قبول الزيادة فيها . ولكن المتأخرين جعلوا علم البيان وقفا عليها . ومحصوراً فيها . ومنتهيا اليها　　ابواب علم البيان

*
* *

طريقتهم فى حصر أبواب الفن

واشتهر عندهم بيان ذلك . بأن علم البيان كما عرفت مما سبق . علم يبحث فيه عن طرق الكلام التي يؤدى بها المعنى الواحد في صور مختلفة . خفية تارة . وواضحة تارة أخرى . ليراعى فى كل مقام ما يناسبه من الصور

واذا كان الكلام مستعملا في معناه الذى وضع له . ومرادا به معناه الوضعي . لم يجز أن يكون له فى هذه الحالة صور متعددة . بعضها يدل على معناه الوضعي دلالة ظاهرة . وبعضها يدل عليه دلالة خفية . ضرورة أن وضع الألفاظ لمعانيها واحد . لا تفاوت فيه . فلتكن دلالتها على معانيها في رتبة واحدة كذلك . فان دلالة اللفظ على معناه لاتحتاج الى شيء غير سبق وضعه له . وعلم السامع بذلك الوضع . وحينئذ لا يتصور أن يكون لفظ أوضح في معناه . وأدل عليه . من لفظ آخر في ذلك المعنى . بعد أن يثبت الوضع لهما . وعلم السامع بهما

مثلا ـ السبع والأسد والهزبر والليث والغضنفر ـ كلها ألفاظ وضعت بازاء النوع المعين المعروف . من الحيوانات الوحشية . فاذا خوطب من يعرف ذلك بأى واحد من هذه الاسماء . فهم منه صورة ذلك الحيوان . لا يمتاز اسم

منها عن اسم . ولا يكون أوضح دلالة من أخيه ولا أخفى

قال سعد الدين التفتازني ـ مثلا اذا قلنا خده يشبه الورد . فالسامع ان كان عالماً بوضع المفردات . والهيئة التركيبية . امتنع أن يكون كلام آخر يؤدى هذا المعنى بطريق المطابقة . دلالة أوضح أو أخفى ـ لأنه اذا أقيم مقام كل لفظ ما يرادفه . فالسامع ان علم الوضع فلا تفاوت في الفهم . والا لم يتحقق الفهم . اه

وانما يمكن أن يكون للمعنى الواحد صور مختلفة من الكلام . بعضها أوضح دلالة عليه من بعض. اذا استعمل. الكلام في غير معناه الوضعي . بأن استعمل مرادا به جزء معناه . أو لازم من لوازمه فهنالك يوجد التفاوت . ويمكن الاختلاف

مثلا ـ الانسان . لفظ معناه الوضعي . هذا النوع من الحيوان . الذى خصه الله تعالى بمزية العقل . فاذا استعمل لفظ الانسان مراد به الحيوان مطلقاً . الذى هو جزء معناه الوضعي . كان لفظ الانسان أوضح في ذلك مما اذا استعمل مرادا به الجسم مطلقاً . الذى هو جزء معنى الحيوان ـ وكذلك . القمر . معناه الأصلي ذلك الكوكب المنير ليلا . فاذا أطلق ـ القمر ـ على السماء مثلا لأنها لازم له لا

يتخلف عنه . كان أوضح دلالة عليها من دلالته على لازم السماء . كزرقه اللون مثلا ـ وهلم جرا

اذا تم هذا . فعلم البيان يبحث فيه عن ايراد المعنى الواحد بأساليب يتأتي بينها تفاوت بالوضوح والخفاء . ويمكن ايراد المعنى الواحد فيها بطرق مختلفة

وايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتي فى الدلالة الوضعية. كما عرفت . وانما يتأتي بالدلالة العقلية ـ التي يكون الكلام فيها مرادا به جزء معناه الأصلي أو لازمه ـ فيكون علم البيان انما يبحث فيه عن طرق الدلالة العقلية . دون الدلالة الوضعية ـ التي لا يتصور اختلاف فيها ـ

وينقسم اللفظ باعتبار دلالته العقلية الي نوعين فقط . المجاز والكناية ـ لما سيمر بك بعد ان شاء الله تعالي

*
* *

تكلفهم لادخال التشبيه فى مباحث الفن

ولما كانت مباحث التشبيه على هذا النحو الذى ذكروا خارجة عن مباحث البيان الأصلية . اذ لا يتأتى فيها الايراد المذكور . لما أن دلالتها وضعية ـ الا على قول ضعيف لم يشتهر ـ التجوءالى الحيلة فى ذكره فى مباحث البيان . فقالوا. لما كان من المجاز ما ينبنى على التشبيه ؛ تعين التعرض له . وبذلك انحصر البيان فى ثلاثة أبواب . التشبيه . والمجاز .

والـكناية .

ولعل الامام السكاكي يرحمه الله تعالى هو أول من ذهب الى هذا المذهب . فى وضع علم البيان وتبويبه . حين حاول أن يميز بين علوم البلاغة ويفرق مباحثها (رحمه الله) الى علمين . سمى أولهما المعانى . والثانى البيان

والانصاف يتقاضانا أن نرفض هذا المذهب ونختار منهج السابقين الأولين. الذي يجعل التشبيه عمدة فى الفن . وركنا من أمهات أركانه . لما ستسمع قريباً فى مزاياه

وسواء ترجح عندنا هـذا الطريق أو ذاك فلا شك أننا الآن لانستطيع أن نتناول البحث فى أكثر من ثلاثة الأبواب التي هى مباحث علم البيان ولا نريد أن نخوض فى غيرها . التشبيه ـ المجاز ـ الـكنايه ـ

*
* *

التشبيه

اجمال القول فى مزايا التشبيه

التشبيه باب من أبواب الكلام واسع . وطريق لافادة المعنى في صور مختلفة . يجد القائل فيها متصرفا للقول ومضطربا فسيحاً . والتشبيه من أهم أساليب البلاغة . وأجمع طرق

التعبير لأسرار الحسن . ومعاني البراعه . وفيه تتفاوت أقدار القائلين . حتى يكون منهم المعجز الذى لا يبارى . والساقط الذى لا ينظر اليه . ولذلك كان المعول الأكبر فى علم البيان على باب التشبيه . ولا غرو أن يكون له ذلك الشأن . اذ كان له من المزايا والدقائق ماله .

وقد ذكر الامام عبد القاهر فى شرحها واستنباطها ما اهتدى اليه ونرجو أن نجد بعد فرصة للقول فى مزاياه . ان شاء الله (١) . وما كان تأثير التشبيه . وعظيم قدره . وجليل خطره . خاصة بلغة العرب . ولكنها سارية فى سائر اللغات . حتى كان من الحكماء من يبرع فى قومه ويفضل . ببراعته فى فن خاص من التشبيه . وهو التشبيه التمثيلي . الذي هو أبلغ موعظة . وأملك لقلوب السامعين . لاسيما في المواعظ الدينيه والأخلاق . والله جل شأنه يضرب الأمثال للناس . وأنبياؤه الكرام . الذين اشتهر منهم فى ذلك الباب . داود عليه وعليهم السلام

---

(١) لم تكن لنا تلك الفرصة التى رجوناها ـ وقد ذكر عبد القاهر فى كتاب أسرار البلاغة من وجوه العبر وأسرار الحسن فى التمثيل وأسباب تأثيره في نفوس السامعين طرفا صالحاً . يمكن أن يقاس على قياسه فى سائر أبواب التشبيه . غير التمثيل . فليراجع باب مواقع التمثيل وتأثيره هناك

وكذلك شأن العرب . قد ينبغ الرجل فيهم اذا أحكم فن التشبيه . وهم يجلون لذلك أمثال ابن الرومى وابن المعتز وغيرهما

* * *

تعريف التشبيه وأركانه

تعريف التشبيه ـ اشتهر أن التشبيه هو الدلالة على أن شيئين يشتركان في امر واحد يعمهما . ويوجد فيهما . فلا بد في كل تشبيه من مشبه . ومشبه به . ويسميان طرفين . ومن أمر يشتركان فيه . وهو وجه الشبه ـ قالوا . ولا بد مما يدل على التشبيه . وهو الأداة . فتلك أربعة أشياء هى أركان التشبيه التى يتم بها

* * *

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه

هذا وقد يكون طرفا التشبيه حسيين . كما اذا شبه صوت جميل بنغمات الموسيقى . أو صوت جهوري منكر بصوت حمار . وكما اذا شبه طعم فاكهة بفاكهة أخرى . أو رائحتها برائحتها وكما يشبه وجه جميل ببدر أو شمس . وقد يكونان عقليين لا يوصل الى ادراكهما الحس . كما فى تشبيه الموت بالنوم والعلم بالحياة والجوع بالكفر . وقد يكون المشبه حسيا

والمشبه به عقلياً كالمطر اذ اشبه بخلق كريم

وقد يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا على عكس ماقبله كما يشبه العدل بالقسطاس والمنية بالسبع

فتلك أقسام أربعة للتشبيه باعتبار طرفيه

وكذلك ينقسم بهذا الاعتبار . الى ما يكون الطرفان فيه مفردين لاتركيب فيهما والى مايكونان فيه مركبين

والى مايكون طرفه الأول مفردا والثانى مركبا . والى مايكون المشبه مركبا والمشبه به مفردا عكس ما قبله . فاذا أنت نظرت مثلا الى حلقة من حلقات العلم . ورأيت الطلبة فيها ملتفين حول أستاذهم وهو يمدهم بالعلم الذي يحيي نفوسهم وينمي ملكاتهم . فشبهت هذه الهيئة التي رأيتها . بنبت فى بستان . حول عين من الماء . تفيض عليه من مائها . الذى هو مادة حياتها . كان ذلك من تشبيه المركب بالمركب وكذلك اذا قلت ان الطلاب فى التفافهم حول الأستاذ . كأنهم كواكب أحاطت بالقمر . كنت في ذلك تشبه مركبا بمركب . ومن ذلك بيت بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكذلك قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس في فمه
هلال أول شهر غاب في شفق

وقال

بياض فى جوانبه احمرار
كما احمرت من الخجل الخدود

ومن تشبيه المركب بالمفرد قوله

يا صاحبي تقصيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه
زهر الربى فكأنما هو مقمر

شابه ـ خالطه

ومن تشبيه المفرد بالمركب قوله

وكأن محمر الشقيـ ـق اذا تصوب أو تصعد
اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

وقد يكون التشبيه ليس بين شيئين ولكن بين أشياء متعددة . كما فعل امرؤ القيس . فى تشبيه قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة بالعناب والحشف البالى . وكما يشبه المحبوب بالقمر وغصن البان . وكما يقال فى الحاجب انه يشبه الهلال . والقوس . وحرف النون الخ . ويكون التشبيه حينئذ متعددا

فان كان التعدد فى المشبه به وحده سمي تشبيه الجمع . وان تعدد المشبه سمى تشبيه التسويه . وأن تعدد طرفاه معا . فان ذكرت المشبهات معا ثم ذكرت المشبهات بها . فتشبيه ملفوف

وان ذكر مع كل مشبه ما شبه به . فمفروق . قال . (١)

النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف عنم

*
* *

أقسام التشبيه باعتبار وجهه

هـذا واعلم أن الذى ينبنى عليه التشبيه بين الشيئين . والجهة التي يشتركان فيها .

يجوز أن تكون حسية كما فى أبيات . رواها صاحب مصارع العشاق . عن قيس بن معاذ المجنون . قالها وقد وقعت في شركه ظبية . فنظر الى وجهها مليا ثم أطلقها . فرت وأنشأ يقول

اذهبي فى كلآة الرحمن
أنت منى فى ذمـة وأمان

(١) النشر ـ الرائحة الطيبه ـ العنم ـ شجر لين الاغصان

توهبيني والجيد منك كليلى

والحشا والبغام والعينان

لا تخافي بأن تفاجي بسوء

ما تغنى الحمام في الأغصان

ويجوز أن تكون عقلية - كما يشبه العلم بالحياة

وكذلك يجوز أن تكون أمرا واحدا . أو مركبا أو متعددا . فاذا كان مركبا سمى - تشبيه التمثيل - قال الله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . كمثل الحمار يحمل أسفارا - شبه الذين نزلت عليهم التوراة ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها : بالحمار يحمل الأسفار . ويكد في حملها . ومبنى التشبيه . أن في كل حرمان الانتفاع بأبلغ نافع . مع تحمل التعب فيه والكد - وذلك الوجه مركب من متعدد كما ترى

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه » فقد بنى التشبيه على الهيئة التى تكون من نفع الغير وهدايته مع الاضرار بالنفس : وقال الشاعر :

فأصبحت من ليلي الغداة كقابض

على الماء خانته فروج الأصابع

بني التشبيه على ما يكون في كل من الطرفين . من طلب

ما لا يكون . والتمسك عما لا تمسك به . وكذلك قوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة
فلما رأوها أقشعت وتجلت

أخذه من اتصال ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس

ووجه الشبه في هذا كله منتزع من متعدد . فيكون التشبيه تمثيليا بخلافه في نحو تشبيه الخد بالورد . في الحمرة . والرجل بالاشد . فى الشجاعة . والسفر بالميزان . في أنه يقدر الاخلاق . في قولهم . السفر ميزان الاخلاق . والتفكير بالفخ . في أنه يقرب المفكر من العمل . كما أن الفخ يدنيه من الصيد . في قولهم . الفكرة فخ العمل — ومثال وجه الشبه المتعدد قوله :

مهفهف وجناته   كالخمر لونا وطعما

واذا ذكر وجه الشبه في التشبيه قيل له . التشبيه المفصل واذا حذف . فالمجمل . وبقيت للتشبيه أقسام أخر يذكرونها . وليس من حقنا أن نخوض الآن في استيفائها . اذ كنا على شريطة أن نتوخى الفائدة مع الاختصار

*
* *

وقد كان يودنا لو تيسر لنا البحث في سر هذه

التقسيمات التي جاؤا بها في باب التشبيه. وجاؤا بمثلها في باب الاستعارة . فان استخراج أقسام شتى لشيء واحد وتنويعه الى أنواع وأجناس. وتجزيئه الى أجزاء . أمر ميسور لكل ناظر . سهل على كل من شاء . ولو أننا ذهبنا نستخرج للتشبيه أقساما كالتى استخرجوها لكان في مقدورنا ـ وفي مقدور كل أحد ـ أن نبلغ بالأقسام مئات وألوفا . قلنا أن نقسمه باعتبار وجهه مثلا . الى ما يكون وجه الشبه فيه ذاتياً من ذاتيات المشبه . أو المشبه به . أو هما . أو يكون عرضيا كذلك . والعرضي اما أن يكون لازما أو متخلفا . والمتخلف اما سريع الزوال أو بطيئه ـ فينتج لك من ذلك خمسة عشر قسما . فان شئت ضعفتها الى ضعفين أو أضعاف وان شئت اختصرتها

وعلى هذا الأسلوب يمكن أن يقسم التشبيه باعتبار كل ركن من أركانه . وكذلك يمكن القول فيه باعتبار أداته ـ ويمكن أن يعتبر فى التشبيه شيء آخر غير أركانه الأربعه . يلحقه به انقسامات وتنوعات

وكذلك القول في الاستعارة وتقسيمها . اذ يتأتى اختراع مبدء غير الذى اخترعوه . لاحداث أقسام فوق ما أحدثوا

وما دامت مبانى التقسيم عنـدهم أموراً انتزاعيه . وشؤونا اعتباريه . فان لـكل قادر شاء أن يعتبر وينتزع ويقبل اعتباره وانتزاعـه . كما قبلنا منهم ما اعتبروه مبداء لاقسامهم وأنواعهم

اللهم الا أن يجعل الحـكم في ذلك للفائدة . فلايقبل من التقسيم الا ما كان ذا حظ من الفائدة والنفع وما كان داخـلا تحت حـدودهما . وأما ما يجيء من ذلك حبا في التقسيم . ورغبة فى الأطناب فلا ينبغي قبوله . ولو جاء به المتقدمون

لذلك كان من دأبنا أن لا نلتفت الى تلك الأقسام . ولا نذكرها الا على طريق ضرب المثل . غير قاصدين الى استيعابها . حتي تتبين لنا تلك الفائدة التي توخوها فى تقسيماتهم

وقد كان يقع لنا في كلام عبد القاهر ما قد ينفع فى ذلك لمحة بعد لمحة . واشارة بعد اشارة . ولـكن البحث طويل عريض يحتاج الى برهة من الزمن كافية فيه

ولم يبق لي من الوقت ما يسع ذلك . فقد قرب موعد رحلتى - ان شاء الله تعالى - الى بلاد الأنجليز

والله أسأل أن يبارك لى فى السفر والاقامه . ويكتب لى الغنم والسلامه

واذا قدر لنا أن نعود الى الاشتغال بهذا الفن . رجونا أن نتمم ما بدأنا . والا كان أمره الى غيرنا والى الله عاقبة الأمور

الحقيقة والمجاز

لألفاظ اللغة العربية معان معينة . جعلت الألفاظ لتكون مستعملة فيها . ودالة عليها . ووضعت بازائها . وخاصة بها . فكلمات القيام . والضرب . والجد . والانسان . والفرس ونحوها . جعلت أول الأمر لتستعمل فى معانيها التي عينها لها الوضع . وخصها بها . وكذلك الحكم في كل ألفاظ اللغة - فانها قد وضعت من أول أمرها مختصة كل لفظ منها بمعنى معين - هو الذي تدل عليه الكلمة - وهو الذى يقال له أنه معناها اللغوي

وقد يعرض للفظ من هذه الالفاظ الموضوعة لمعانيها اللغوية . أن تتفق أمة من الناس على استعماله استعمالا مطردا في معنى جديد . غير المعنى اللغوي الأول . ووضعه ليكون دالا عليه . ومستعملا فيه عندهم . وذلك كما اتفق علماء النحو على أن يكون لفظ . المضاف . مستعملا في ما يقابل اليه . وهو معنى جديد للفظ المضاف . غير ما كان له فى وضعه الأول اللغوى . فانه وضع أولا ليستعمل في الرجل . اذا

حوصر في الحرب قال

وكرى اذا نادى المضاف محنبا

كسيد الغضي نبهته المتورد

المحنب الفرس أعوج الساقين ـ السيد الذئب ـ الغضا شجر ـ والورد والمتورد ـ كلاهما يكونان الأسد ويكونان الفرس بين الكميت والأشقر

وكالربا . وضع في أول أمره بازاء الزيادة والنمو . قال تعالى . يمحق الله الربا ويربى الصدقات . ثم اصطلح علماء الفقه وأهل الشرع . على أن يستعملوه خاصة في معنى . فضل المال من غير عوض عند مبادلة مال بمال . وهو معنى غير الأول اللغوى . كما ترى . وكذلك لفظ المجاز في الأصل جعل بازاء الطريق كما يقال للرجل . أنه مجاز لحاجتك . بمعنى أنه طريق اليها . ثم وضعه علماء البيان . لمعنى الكلمة اذا استعملت استعمالا خاصاً . كما سيأتى ان شاء الله

والحاصل أن الألفاظ العربية . بعد أن يكون لها معنى لغوى . قد يعرض لها أن توضع لمعنى آخر غير معناها اللغوى . يتفق على وضعها له طائفة من الناس . وسواء في ذلك أن يكون الواضعون للكلمة بازاء معناها الجديد . والمصطلحون على أن تستعمل فيه . علماء الشرع خاصة . كما مر في الرباء . أو علماء البيان . كما في لفظ المجاز . او علماء

النحو . أو علماء الطب . أو أهل بلد من البلاد . أو جماعة ما من الجماعات . وذلك كما يطلق الأزهريون لفظ العالم . على من مضى عليه في طلب العلم بالأزهر اثنتا عشرة سنة . ثم أدى الامتحان ونجح فيه . فذلك معنى اصطلاحي ثان . غير المعنى الأول اللغوي للفظ العالم . الذى هو الانسان اذا قامت به صفة العلم . وان كان من غير المسلمين . أو من غير الأزهريين .

*
* *

تعريف الحقيقة وأقسامها

فكل كلمة استعملت فى معناها . الذى وضعت لتستعمل فيه . وتدل عليه . سواء كان وضعا لغويا أو عرفيا . يقال لها ــ الحقيقة ــ ولا بد لتكون الكلمة حقيقة من أن تكون مستعملة فيما وضعت له . عند أهل الاصطلاح الذى يجري عليه المتكلم . ويتبعه فى خطابه . فاذا كان المتكلم فقيها . يستعمل مصطلح الفقهاء وعرفهم . ويجري على سنتهم . فلا تكون كلمة الصلاة حقيقة الا اذا استعملها فى معناها الذى وضعت له فى اصطلاح الفقهاء وعرفهم . الذى هو تلك الأعمال المعينة المعروفه . فاذا استعملها فى المعنى الذى وضعت له في اللغة . أو فى اصطلاح آخر غير اصطلاح الفقهاء . لم تكن الكلمة حقيقة حينئذ

وعلى هـذا القياس اذا كان المتكلم يجري على وضع اللغة في كلامه . ثم استعمل الربا في معناه الشرعي السابق . لم يكن لفظ الربا حقيقـة حينئذ . ضروره أنه لم يستعمله فيما وضع له في مصطلح كلامه . وطريقة خطابه . وان صح أن يقال انه مستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر . غير الذي يتبعه ويجرى عليه . فذلك قولهم في الحقيقة أنها الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب . وعليه قول عبد القاهر -كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه الي غيره فهى حقيقة

تعريف عبد القاهر للحقيقة

ومعنى قوله ـ وقوعا لا يستند فيه الي غيره ـ ان اللفظ يدل على ما أريد به من غير احتياج الى أن يلاحظ التباس وارتباط بينه وبين معنى آخر . فدلالة أسد على سبع لا تحتاج الى ملاحظة أصل أداه اليه بخلاف دلالته على رجل شجاع . اذ لا بد هنا من ملاحظة أصل ـ وهو السبع - يؤدي الي ذلك المعنى لما بينهما من ملابسة

ثم اذا كان اللفظ الحقيقة مستعملا فيما وضع له لغة فهو ـ حقيقة لغوية ـ وان كان مستعملا فيما وضع له في العرف فهو ـ حقيقة عرفية ـ عامة ـ ان كان أهل الاصطلاح غير معينين . ولا محصورين في طائفة بعينها . كالدابة . تعارف الناس استعمالها فى ذي الأربع وقد كان في الوضع الاول

لكل ما دب ومشى . وعرفية خاصة شرعية . ان كان واضعها الشرع - ونحوية - ان كان واضعها علماء النحو - وحسابية - ان كان علماء الحساب - وهلم جرا

*
* *

تعريف المجاز وأقسامه

والمجاز . الكلمة التي لم تستعمل فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب . بل في معنى غيره . يكون بسبب من المعنى الاول الموضوع له اللفظ . وذا علاقة به . وارتباط يجوز به أن يؤخذ لفظ أحدهما للآخر . ويستعمل فيه .
ولا بد لصحة التجوز باللفظ من معناه الوضعي الي معناه المجازى من أن ينصب المتكلم دليلا على أنه لم يرد المعنى الوضعي - وما يكون بين المعنيين من الملابسة والاتصال يسمى - علاقة - وذلك الدليل يسمي - قرينة
وتجرى في المجاز أقسام الحقيقة السابقة . فيكون - مجازا لغويا . ان كان المتكلم به جاريا على مصلح اللغويين . ومجازا شرعيا . أو عرفيا عاما - أو نحويا - على قياس ماسبق

علاقات المجاز

هذا وقد كان كافيا في معرفة العلاقة - انها ما يكون بين المعنى المتجوز عنه والمتجوز اليه من الاتصال الذي ينبني عليه

صحة أن يؤخذ اللفظ منه اليه . ويستعمل فيه . فان الاتصال بين شيء وشيء من المعاني الواضحة . التي لا عناء في ادراكها وتمييزها . والذوق السليم كاف وحده في معرفة ما يكون من الاتصال مجوزا للانتقال . وما لا يكون . ولا سيما اذا قرع سمع الطالب شيء من استعمالات العرب في هذا الباب . وبعض الشواهد الواردة فى ذلك . كما فعل الامام عبد القاهر . والامام السكاكي. حين يذكران علاقات المجاز فانهما ما زادا على ضرب الامثال لها . واسماع الشواهد عليها دون أن يتوغلا في البحث عما اذا كانت محصورة أو غير محصورة . ودون ان يفسرا هذا المعنى الواضح عند كل ذي مسكة . معنى الاتصال والارتباط بين الشيئين . بما هو أخفى عند السامع .وأشد أشكالا . ومن ذا وأبيك لا يفهم ارتباط شيء بشيء واتصاله به . وعلقته به ثم يفهم الاطلاق والتقييد والعموم .والخصوص . والفرق بينها الخ الخ مما وضعه المتأخرون في العلم من المؤلفين ثم زعموا بعد ذلك أنهم يحصرون أنواع العلاقات ففتحوا بذلك بابا على أنفسهم من النزاع والاضطراب . فبينا يحقق بعضهم أنها تسع عشرة علاقة . يحقق الثاني أنها دون ذلك . ثم يقول الثالث أنها فوق ذلك. ولو أنصف القوم لكفاهم أن يذكروا أنواع العلاقات التي ذكروها على سبيل التمثيل والتفصيل الا على سبيل

التحديد والحصر ومن ادعى أنه يحيط بأنواع الاتصالات والارتباطات بين الاشياء احاطة جامعة مانعه. فهو اما فيلسوف يؤيده الكشف الروحانى. أو متفلسف يوقف حركة العلم عن النماء. ويسرع به الى الهرم بعد الفتاء. وذلك هو الذي أصاب علم البيان. وقد كان غنياً عن الفلسفة والتفلسف، ومحتاجا الى ترك الاعتساف به والتكلف

ولا غنية لنا عن أن نورد ماذكره القوم من أنواع العلاقات. حتي لا يظن النقص بكتابنا في أغفالها. ولكنا لا نذكرها على طريق دعوى انحصار العلاقات فيها. وعدم شذوذ شيء عنها. وانما غرضنا ما يرد فيها من الأمثلة والشواهد فحسب. ثم قد يكون فى ذكر الأنواع توضيح لمعنى العلاقة بوجه ما

فقد يكون اللفظ موضوعا ليستعمل في معنى من المعانى فينتقل من ذلك المعنى الى معنى آخر. يكون المعنى الأول سببا له. ومؤثرا فيه. كما وضع لفظ الغيث للمطر النازل من السماء. فيستعمل فى النبات. لأن الغيث سبب في طلوع النبات. قالوا رعينا الغيث ــ كما قالوا رعينا السماء. وهذه علاقة السببيه. لأن المعنى الأول سبب للمعنى الثانى

وقد يكون المعنى الأول مسبباً وناشئاً عن شيء آخر فينقل اللفظ الى ذلك المعنى الآخر ويستعمل فيه . لعلاقة المسببيه . كما يقال . أمطرت السماء نباتا ـ نقل النبات من معناه الوضعي الى المطر لأن النبات مسبب عنه . وكذلك الوغي . أصل معناه اختلاط الأصوات . ثم استعمل في الحرب . لأن اختلاط الأصوات يكون مسبباوناشئاعن الحرب في العادة

وقد تكون العلاقة بين المعنى الثانى والأول . أن الأول كل للثانى . ومشتمل عليه وعلى غيره . وهي علاقة الكلية . كما في قوله تعالى . يجعلون أصابعهم في آذانهم . على معنى أناملهم . لأنها هى التي تجعل في الأذن . والأصابع مشتملة على الأنامل . وكل لها .

وقد يكون الأول جزاء للثانى . وبعضا منه . كما تقال العين على الجاسوس . والرقبة على الانسان . وهذه علاقة الجزئيه

الخامسة علاقة الآلية . بأن يكون المعنى الثانى آلة للمعنى الوضعي . وواسطة فيه . قال تعالى . واجعل لى لسان صدق في الآخرين . أى ذكراً حسناً . والمناسبة بين الذكر الحسن واللسان . أن اللسان آلة الذكر والكلام

السادسة الملزوميه . بمعنى أن يكون المنقول عنه ملزوما للمعنى المنقول اليه . أى يلزم عند وجوده وجود الثانى كما

تستعمل الشمس فى الضوء . اذ هي ملزومة له . يجب عند وجودها وجوده

السابعة اللازمية . عكس ما قبلها . كما في الشمس . تطلق على ضوئها .

الثامنة الأطلاق . بأن يكون الأول مجرداً عما قيد به الثانى . كما استعملت . الرقبة . فى الرقبة المؤمنة . اذ كان المعنى الحقيقي للرقبة مطلقاً عن قيد الايمان المراد فى المعنى المجازى . قال تعالى فى كفارة الظهار . فتحرير رقبة من قبل أن تماسا . قال الشافعية المراد رقبة مؤمنة . فلا تجزىء الكافرة : والعلاقة الأطلاق والحنفية يخالفونهم فى ذلك

التاسعة التقييد . عكس الاطلاق . ومنه الشفة . فى الأصل شفة الانسان خاصة . استعملت للفرس . بدل الجحفله . في قوله

فبتنا جلوسا لدى مهرنا   ننزع عن شفتيه الصفارا

« الصفار . بالضم . القراد . وما يبقى فى أصول أسنان الدابة من تبن ونحوه »

العاشرة العموم . أى أن يكون المعنى الحقيقي شاملا لأفراد منها المعنى المجازى ـ قال المفسرون . ان قوله تعالى ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ـ أريد به أنهم يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم . فقد أطلق لفظ الناس .

وهو عام لمحمد وغيره . وأريد به خاص .

الحادية عشرة الخصوص - كما اذا استعمل افظ الخاص كمحمد . فى الانسان عموما .

الثانية عشرة . أن يستعمل الدال على صفة . فيما ليست الصفة قائمة به الآن . اعتبارا لان الوصف قام به سابقا . قال تعالى - وآتوا اليتامى أموالهم - استعمل اليتامي في البالغين ولا يتم بعد بلوغ . كما فى الحديث . وانما اليتيم طفل مات أبوه . وذلك اعتبار ما كان .

الثالثة عشرة . أن يستعمل الوصف في الذات التي سيقوم بها ذلك الوصف . قال تعالى - انك ميت وانهم ميتون - أطلق الميت عليه صلي الله عليه وسلم وعلى أصحابه . لأنهم سيؤولون الي الموت . ومنه - اني أراني أعصر خمرا . وانما يعصر العنب ليؤخذ منه الخمر . فاستعمال الخمر في العنب مجاز . علاقته الأول

الرابعة عشرة . أن يستعمل اسم الحال فى محله . وهي علاقة الحاليه . نحو - ففي رحمة الله هم فيها خالدون - أي فى الجنة خالدون

الخامسة عشرة . أن يستعمل اسم المحل في حاله . نحو سال الميزاب . أى ماؤه . واسأل القرية أي أهلها

السادسة عشرة المجاورة . وهى اطلاق اسم الشيء على

ما يجاوره . كما يطلق الراوية . وهو اسم للدابة تحمل القربة على القربة نفسها . والثياب على نفس الانسان . قال

فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم

السابعة عشرة البدلية . كما يقال قضينا الصلاة . بمعنى أديناها. اذ القضاء بدل عن الأداء

الثامنة عشرة المبدلية . كما يطلق الدم على الدية . في قولهم أكلت دم فلان أى ديته

التاسعة عشرة التعلق الاشتقاقي . بأن يكون بين اسم الأول والثاني مناسبة في الاشتقاق . كما بين اسم الفاعل . أو اسم المفعول . مع المصدر وبين بعض الصفات وبعض . حتي جاز أن يوضع أحدها موضع الآخر ويستعمل فيه ـ هذا خلق الله أى مخلوقه ـ لايحيطون بشيء من علمه . أى معلومه ـ حجابا مستوراً . أى ساترا ـ من ماء دافق . أي مدفوق

*
* *

المجاز المرسل

والمجاز الذى تكون العلاقة فيه واحدة من هذه الأنواع يسمي ـ المجاز المرسل ـ

الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز ففيها استعمال اللفظ في غير معناه الموضوع له فبذلك تكون مجازا الا أن العلاقة بين المعنى الوضعي والثانى تكون ما بينهما من مشابهة. وعلى ذلك قولهم في الاستعارة انها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء أنه فرد من أفراده . أو قولهم انها مجاز علاقته المشابهه الخ . ولما كانت العلاقة في الاستعارة هى المشابهة كانت نوعا غير المجاز المرسل الذى العلاقة فيه احدى تسع عشرة العلاقات السابقه

وانما أفردت الاستعارة وهى نوع من المجاز وخصت بالتقسيم وجعلت راسا لمبحث مستقل . وأفردت بالتأليف اذ أنها كما قال عبد القاهر

أمد ميدانا . وأكثر جريانا. وأعجب حسنا واحسانا . وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها . وتستوفى جملة جمالها ـ ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا . وتوجب له بعد الفضل فضلا ـ وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد . حتى تراها مكررة فى مواضع . ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد . وفضيلة مرموقة . وخلابة موموقه

ومن خصائصها التى تذكر بها . وهى عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ الخ. الخ. (١).

* * *

الاستعارة الاصليه

أقسام الاستعاره - اذا كان اللفظ المستعار اسم جنس غير مشتق . كلفظ أسد . وشمس . وقمر . وبحر . فالاستعارة تسمي أصلية . كما تقول . رأيت أسدا يتكلم . مستعيراً لفظ الأسد لرجل شجاع . ونظرت بدرا يبتسم . تريد وجها جميلا . ورأيت بالأمس بحراً فى مجلس فلان . تريد رجلا كثير العلم

* * *

الاستعارة التبعيه

واذا كان المستعار اسما مشتقا . أو فعلا . أو حرفا . فاستعارته تبعيه . كما تستعار . لعل من معني الترجى لمعنى الارادة . في مثل قوله تعالى - يا أيها الناس اعبدوا ربكم

(١) راجع القول فى الاستعارة المفيدة من كتاب أسرار البلاغة

الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ وكما تستعار اللام الموضوعة لافادة الغرض والتعليل . نحو . جئت لأتعلم فتستعمل فى معنى ترتب شىء على آخر من غير أن يكون الثانى غرضا ولا علة. قال تعالى ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ـ ومن الاستعارة التبعية . قتل زيد خالدا. على معنى ضربه ضربا شديدا . وقوله تعالى ـ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ـ على معنى كثر وتجاوز الحد . وقوله تعالى ـ ولأصلبنكم فى جذوع النخل . بمعنى على الجذوع وقول الشاعر

جمع الحق لنا فى أمام ـ قتل البخل وأحيي السماحا

وقوله تعالى ـ من بعثنا من مرقدنا ـ ولما سكت عن موسى الغضب ـ فاصدع بما تؤمر ـ فبشرهم بعذاب أليم ـ فنبذوه وراء ظهورهم ـ وسيأتى لهذا القسم تفصيل ان شاء الله تعالى

*

* *

الاستعارة التصريحيه والاستعارة المكنيه

وتنقسم الاستعارة الى تصريحية . ومكنية . وذلك أنه لما كانت الاستعارة مبنية على دعوي أن المشبه . الذي استعير له اللفظ . فرد من أفراد المشبه به . داخل في حقيقته كان لا بد في الاستعارة من أن يعتبر التشبيه نسبيا . كأنه

لا تشبيه . بل لا أكثر من اطلاق لفظ على بعض أفراده ولهذا لا يجوز في الاستعارة الجمع بين المشبه والمشبه به . على طريق يدل علي التشبيه . والا كان تشبيها لا أستعارة . كما اذا وقع المشبه به خبرا عن المشبه - أوحالا منه - او صفة - أو مضافا له - أوبين المشبه به بالمشبه - نحو قوله

أنت مصباح كل ضوء فما تصـ
ـدر الا عن ضوئك الأضواء

وكان زيد بدرا . وخلته بحرا

والريح تعبث بالغصون وقد جري
ذهب الأصيل على لجين الماء

- حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر -

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم
والرجح الأحلام والأحساب

واذ كان لا يجوز فى الاستعارة ان يجمع بين طرفيها . وجب أن يكتفي بذكر أحدهما - فأن ذكر المشبه به - فتصريحية - وان ذكر المشبه وشيء من لوازم المشبه به - فمكنية -

فاذا وقع فى نفسك أن تشبه . المنية بالسبع - ثم قلت - أظفار المنية نشبت بفلان . فطويت ذكر المشبه به - وذكرت

لازمه . وهو الأظفار . وذكرت معه المنية المشبهة . فالاستعارة مكنية . وكذلك قد تشبه العناية برجل ذي أعين تلاحظ . ثم يقال . لاحظتك عيون العناية . قال

واذا العناية لاحظتك عيونها

ثم فالمخاوف كلهن أمان

فقد طوى المشبه به . وهو الرجل . وذكر لازمه . وهو العيون . على طريق الاستعارة المكنية . وكذلك تقول . شممت رائحة العلم . طاويا ذكر المشبه به . وهو الشيء ذو الرائحة . مكتفيا بذكر لازمه الدال عليه . وهو الرائحة

وقال زهير ابن أبي سلمي

صحا القلب عن سلمي وأقصر باطله

وعري أفراس الصبا ورواحله

شبه الصبا بجهة من جهات المسير . كالحج والتجارة . قضي منها الوطر . فأهملت آلاتها . ثم حذف المشبه به . وذكر ما هو لازمه . وهو الأفراس والرواحل . وكذلك تقول . زمام الحكم بيد فلان . فى تشبيه الحكم التابع لرأيه . المنقاد لمشيئته . بالناقة المنقادة لمن يأخذ بزمامها . فالاستعارة فى هذا كله مكنية . اذ قد ذكر فيها المشبه . مع حذف المشبه به . كما ترى

هـذا والجمهور يسمون اثبات لازم المشبه به للمشبه

. استعارة تخيلية . فعلى هذا لا تنفك المكنية عن التخييلية. كما أنه لا توجد استعارة تخيلية الا في صورة الاستعارة بالكناية. فاثبات الاظفار للمنية . والعيون للعناية ـ والرائحة للعلم . والافراس والروحل للصبا . كل ذلك على سبيل الاستعارة التخييلية

وقد ترى وجها جميلا . فتشبهه بالبدر . ثم تطلق البدر عليه . وتقول رأيت في الطريق بدرا . فتكون الاستعارة مصرحة لانك صرحت فيها بلفظ المشبه به . وعليه قوله تعالى ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ فالصراط مستعار لملة الاسلام ـ لانها أشبهت الصراط ـ في أنها تهدى سالكها الى السعادة . كما يهدى الطريق الى غايته . وقد ذكر المشبه في الآية . فهي من باب الاستعارة المصرحة ـ وقال ـ

وصاعقة من نصله تنكفي بها
على أرؤس الأقران خمس سحائب

استعار السحائب للأصابع . استعارة تصريحية

ـ وقال ـ

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة
غزال كحيل المقلتين ربيب (١)

استعار الغزال للمحبوبة

---

(١) ربيب ومربوب بين الربوبة مملوء

فالاستعارة فى هذا كله تصريحيه . اذ قد ذكر المشبه به وصرح بلفظه

*
* *

الاستعارة المرشحة والمجرده والمطلقه

ثم ان الاستعارة قد يذكر معها ما هو من خواص المشبه به . فتكون مرشحة . وقد يذكر معها ما هو خاص بالمشبه . فتكون مجردة . فان لم تقترن بشيء من ملائمات هذا ولا ذاك . أو اقترنت بملائمات كل منهما . كانت استعارة مطلقة

قال زهير ابن أبي سلمى

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة
لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكي السلاح مقذف
له لبد أظفاره لم تقلم

ضمير - شد - الى رجل اسمه حصين بن ضمضم . قتل أخوه من رجل عبسي . فشد على رجل واحد منهم . ليثأر منه لأخيه . ولم يفرغ كثيرا من بيوتهم . بل اكتفى بقتيل واحد . ولدى . متعلق بشد . وأم قشعم . كناية المنية . وأراد بالأسد . حصينا على طريق الاستعارة التصريحيه . ويقال للرجل أنه شاكي السلاح . وشائك السلاح . وشاك السلاح . اذا كان تام السلاح . كامل الشوكة والعدة

ـ مقذف ـ يقذف به الى الوقائع كثيراً لأنه شجاع القوم الذى يحميهم . فقد استعار الأسد للحصين استعارة تصريحيه. ثم قرنه بقوله . شاكي السلاح . وهو انما يوصف به الرجل . لا السبع . فهو مناسب للمشبه . ثم قال . مقذف . وهو كذلك من أوصاف المشبه . وقال بعد ذلك . له لبد . وهو وصف السبع الذى تلبد شعره على منكبه . وكذلك قوله . أظفاره لم تقلم . من ملائمات السبع . فقد قرنت الاستعارة بما يلائم كلا منهما من غير ترجيح . فهى مطلقه . فان اقتصرت على أحد الوصفين الأولين أو على كليهما . كانت مجردة . وان اقتصرت على أحد الوصفين الأخيرين كانت مرشحة .

واذا قلت . لاحظتك عيون العناية . كانت استعارة بالكناية لم تقرن بملائم أحد الطرفين . فهي مطلقة . فاذا قلت . لاحظتك عيون العناية التى لاتنام . أو نحو ذلك . أو قلت . نطق لسان الحال بكذا . كان من الاستعارة المكنيه المرشحة . وان غيرت المثال . فقلت . نطقت الحال الظاهرة مثلا . كانت مجردة . وعلى هذا النحو

*

* *

والاستعارة قد تكون وفاقية . اذا أمكن أن يجتمع الوفاقية والعنادية

كل من المستعار منه والمستعار له في محل واحد . كما اذا استعير الأحياء للهداية . اذ هما وصفان يجتمعان . فالله جل شأنه يهدى من يشاء، وهو الحي الذى لايموت ـ قال تعالى ـ أو من كان ميتا فأحييناه ـ يعنى ضالا فهديناه . فالأحيا مستعار للهدى وهما يجتمعان . كما عرفت . فهي استعارة وفاقيه . والموت مستعار للضلال . وهما لايجتمعان . اذ لا يكون الميت ضالا . ولم يعرف وصفه بالضلال . واذ لم يمكن اجتماع الطرفين . فهي استعارة عنادية . وكذلك قد يستعار للرجل الموجود . أنه معدوم . وأنه لاشيء . استعارة عنادية ـ قال أبو تمام

هب من له شيء يريد حجابه

ما بال لا شيء عليه حجاب

*
* *

الاستعارة التهكمية والاستعارة التمليحيه

ومن العنادية أيضاً . الاستعارة التهكميه . والتمليحيه بأن يستعار الشيء لضده . تهكما . أو تحسينا وتمليحا للكلام فيعتبر التضاد بين الطرفين كأنه مناسبة بينهما وارتباط ـ تهكما أو تمليحا ـ وقد ورد في الكتاب العزيز استعارة

التبشير للانذار . تهكما . قال تعالى ـ فبشرهم بعذاب أليم ـ
وقد يقال للأعمى . أنه بصير تأدبا فى القول . وتمليحا

*
* *

الاستعارة التمثيليه

بقى القول في الاستعارة التمثيلية . وهي المركب المستعمل في غير معناه الأصلي . لعلاقة التشابه بين المعنيين . ولا يكون تمثيلا الا اذا كان وجه الشبه هيئة مجتمعة من أشياء عدة ـ وبخلاف ذلك لا يكون استعارة تمثيلية . نحو أن يكون وجه التشبيه مفرداً . أومتعددا . غير مكون لهيئة واحدة ونحو أن يكون أحد طرفي التشبيه مفردا . وان كان وجهه هيئة متعددة . نص على ذلك ـ على صقر ـ فى كتاب شرك الآمل . ويدل عليه كلام الخطيب القزوينى في التلخيص ، ولكن كلام السكاكي كأنه لايخرج هذا القسم من الاستعارة التمثيلية . والأمر بعد محل بحث . فربما كان الحق أن هذا . أن وجد . يكون تمثيلا . وفى شرح السعد . عند الكلام على خلافات السكاكي في البيان . قال ـ لا نسلم أن التمثيل يستلزم التركيب بل هو استعارة مبنية على التشبيه التمثيلي والتشبيه قد يكون طرفاه مفردين كما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية الخ . اه

فقولك للرجل . يتردد في أمر لا يعرف الرأي فيه . ولا يدرك طريق الصواب . اني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخري . من الاستعارة التمثيلية . شبه فيها هيئة الرجل فى تردده بين الفعل والترك . بهيئة الرجل . يقدم خطوة ويتأخر خطوة . أو يقدم رجله ويؤخرها . فهو ثابت فى مكانه لا يتقدم ولا يتأخر . ووجه الشبه بينهما هو الاقدام مع الاحجام من غير اعتماد على أحدهما . ولا ترجيح لأيهما . وكذلك تقول في الأمر . وضع عند أهله . وصار الى مستحقه واستقر في نصابه . ورجع الى أصحابه - أخذ القوس باريها - من تشبيه رجوع القوس الى من براها . فكان أعرف بوجه النزع بها . وأدرى بطريق استعمالها . بالأمر ينزل عند من يعرف تدبيره . ويهتدى الى موارده ومصادره . لأن فى كل من المشبه والمشبه به أمرا قد صار الى الخبير بأمره . والجدير به . فهو من الاستعارة التمثيلية

وكذلك قولهم للرجل . يلاين الرجل ويصانعه حتي يظفر بطلبته . ويدرك منه حاجته - ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتي رضي - وأصل الفتل فى الذروة والغارب أن البعير اذا شذ عنك وشمس . فأنت تروضه . وترد من جماحه . بأن تفتل برفق ولين فى شعرات غاربه وذروته - ذروته-سنامه-وغاربه- ما بين سنامه وعنقه

استعيرت هذه الحالة للرجل المتقدم . لما في الحالتين من حسن المدخل . ولطف الحيلة الى الغرض . استعارة تمثيلية

ونظير هذا قولهم . حك له مواضع الجرب . فان البعير اذا حك جربه حن ولان

ومن الاستعارة التمثيلية قولهم ـ هو يرقم على الماء ـ وهو يحدو وليس له بعير ـ يريد الصيد فى عريسة الأسد الخ .

*
* *

المثل والاستعارة التمثيلية ـ اذا شاعت . وتعورف استعمالها كثيرا . قيل لها . مثل . نحو قولهم

لايطاع لقصير أمر ـ ببقة خلفت الرأى ـ خير ما جاءت به العصا ـ دعوا دماضيعه أهله ـ خل عنى اذا وعداك ذم ـ لأمر ما جدع قصير أنفه ـ آخر البز على القلوص ـ بيدى لا بيد عمرو

وأصل هذه كلها مستعارة مما كان بين جذيمة (١) الأبرش الذى ملك ماعلى شاطىء الفرات والزباء مالكة الجزيرة

(١) جذيمة ابن مالك بن نصر . ويقال له جذيمة الأبرش وجذيمة

***

بقيت للاستعارة أقسام غير ما ذكرنا . تركناها لما عرفت في باب التشبيه

وكذلك بقي القول فى طريقة عبد القاهر فى الكلام

الوضاح « الأبرص » ملك ما على شاطىء الفرات • وكانت الزباء ملكة _ الجزيرة _ قتل جذيمة اباها ، فلما استقر لها الملك من بعده كتبت الى جذيمة . انها لم تجد ملك النساء الا قبحا في السماع . وضعفا فى السلطان ، وأنها لم تجد لملكها موضعا . ولا لنفسها كفؤا غيرك . فأقبل الى لأجمع ملكى الى ملكك . وأصل بلادي بلادك • وتتقلد أمرى مع أمرك _ تريد بذلك أن تغدر به . وتثأر منه لأبيها _ فلما وصل الى جذيمة كتابها . استخفه الطمع فيما منته به . ودعته اليه • وشاور جماعته فى الامر . فاجتمع رأيهم على أن يجيب دعوتها ويسير اليها ليستولى على ملكها _ وكان فى القوم رجل اسمه قصير ابن سعد اللخمي . فخالفهم فيما أشاروا به • ونصح لجذيمة أن يستقدمها هي اليه • ولا يذهب اليها . فخالفه جذيمة • فقال قصير _ لايطاع لقصير أمر _ فذهبت مثلا

وسار جذيمة اليها • فلما نزل دعا قصيرا . فقال له ما الرأي ؟ فأجابه _ ببقة خلفت الرأي _ ثم قال له اذا شعرت من القوم بغدر . فاركب العصا « وهى فرس لجذيمة لا تجارى » وانى راكبها ومسايرك عليها

وأحاطت بجذيمة كتائب الزباء . فحالت بينه وبين العصا . فركبها قصير . وجرت به الى غروب الشمس . ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة . فبنى عليها برجا يقال له _ برج العصا _ وقالت العرب _

على الاستعارة . وتقسيمها . وما خالفه القوم فيه . وترجيح احدى الطريقتين على صاحبتها . كل ذلك يمنعنا من الخوض فيه ما ذكرنا ثمت ـ والى الله ترجع الأمور

خير ما جاءت به العصا ـ

ودعت الزباء بالسيف والنطع ـ ثم قالت ان دماء الملوك تشفى من الكلب ـ فأمرت بطست من ذهب أعدته له ـ وسقته الخمر حتى سكر . ثم أمرت براهشيه فقطعا « الراهشان عرقان فى باطن الذراعين » وقدمت اليه الطست . وقد قيل لها . ان قطر من دمه شيء فى غير الطست طلب بدمه ـ فلما ضعفت يداه سقطتا . فقطر من دمه فى غير الطست . فقالت الزباء ـ لاتضيعوا دم الملك ـ فقال جذيمة ـ دعوا دما ضيعه أهله ـ

وكان جذيمة قد استخلف على الملك بن أخته عمرو بن عدى فقال له قصير . اجدع أنفى . واضرب ظهرى . ودعنى وأياها ـ ليأخذ له بثأر خاله جذيمة ـ فقال عمرو . ما أنا بفاعل . وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير ـ خل عنى اذا وعداك ذم ـ ثم جدع أنفه وأثر بظهره آثارا فقالت العرب ـ لامر ماجدع قصير أنفه « وفى أمثال الميدانى ـ لمكر ما جدع قصير أنفه ـ » ثم خرج حتى دخل على الزباء . فقالت ـ ما الذى أرى بك ياقصير ؟ قال زعم عمرو أني قد غررت خاله . وزينت له المصير اليك وغششته وما لأتك . ففعل بى ماترين . فأقبلت اليك ـ فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ما أرادت . فلما عرف أنها استرسلت اليه ووثقت به . قال ان لى بالعراق أموالا كثيرة وثيابا وطرائف وعطرا .

*
* *

الكناية

تعريف الكناية — السكاكي — الكناية هي ترك التصريح بذكر

فابعثني الى العراق لأحمل مالى . وأحمل اليك من بزوزها وطرائفها وبعض مالا غني بالملوك عنه . فأذنت له ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عبيدا . فسار متنكرا حتى دخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر . وقال جهزني بصنوف البز والأمتعة . لعل الله يمكن من الزباء فتصيب منها ثأرك . فأعطاه حاجته . ورجع به الى الزباء فأعجبها وسرها . وازدادت به ثقة . وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو. فجهزه وعاد اليها . ثم عاد الثالثة فقال لعمرو . اجمع ثقات أصحابك واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين . ففعل عمرو ذلك . وسار حتى صار قريباً من مدينة الزباء . فتقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها — آخر البز على القلوص —

وكانت الزباء قد حذرت أن يفاجئها عمرو فى طلب الثأر . فاتخذت في مجلسها نفقا الى حصن لها . وقالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصنى . ثم دست من أهل بلادها رجلا من أجود المصورين فصور لها عمرا جالسا وقائما وراكبا حتى لاتراه على حال الا عرفته وبلغ المصور من ذلك ما أرادت

فلما توسطت الابل المدينة . خرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة . ووضعوا فيهم السلاح . ودل قصير عمرا على النفق فقام على بابه . وأقبلت الزباء الى النفق فأبصرت عمرا فعرفته . فمصت خاتمها . وكان فيه السم وقالت . — بيدى لا بيد عمرو — وجللها عمرو بالسيف فقتلها اه باختصار وتصرف من الميداني

الشيء. الي ذكر مايلزمه . لينتقل من المذكور الي المتروك.
تقول . فلان طويل النجاد . لينتقل منه الى ما هو ملزومه
ـ وهو طول القامة ـ وكما تقول ـ فلانة نؤم الضحى ـ لينتقل
منه الى ما يلزمه ـ وهو كونها مخدومة . غير محتاجة الى السعي
بنفسها في اصلاح المهمات . وذلك أن وقت الضحى وقت
سعي نساء العرب في أمر المعاش . وكفاية أسبابه . وتحصيل
ما تحتاج اليه في تهيئة المتناولات . وتدبير اصلاحها . فلا
تنام فيه من نسائهن الا من تكون لها خدم . ينوبون عنها
في السعي لذلك اه . « النجاد بالكسر حمائل السيف »

*
* *

ولم تكن الكناية نوعا من المجاز . مع أن فيها ارادة ما لم يوضع له اللفظ . واستعمال القول في غير حقيقته . لما أن المجاز لا يمكن فيه أن يقصد المعنى الوضعي للفظ . ليكون مثبتا في الكلام . مخبرا به . ومقصودا في الاسناد . فانه لا يمكن في نحو قولك . سال الميزاب . أن يراد بالميزاب معناه الوضعي على أن يكون السيلان مثبتا له ومضافا اليه وانما يتعين حمل الميزاب على الماء كما سبق — الفرق بين المجاز والكناية

وأما الكناية . فيجوز أن يقصد باللازم المصرح به في الكلام معناه الوضعي على ان يكون مثبتا ومخبرا به . مع

ارادة الأخبار بما هو لازمه أيضا . فلا مانع أن تقول . طويل النجاد . لتفيد أن له سيفا ذا نجاد طويلة . كما تفيد ان الرجل ايضا طويل القامة . كما أنك اذا كنيت عن كرم رجل . فقلت . أنه رجل فصلانه مهزولة . على معنى أنه كريم . ينحر كرائم الأمهات من النياق . فتبقى أولادها التي هى الفصلان مهزولة من فقد أمهاتها ـ كان لك مع هذا أن تريد الاخبار عن الرجل الممدوح . بان عنده فى الواقع فصالا هزيلة . ومثل هذا لا يتيسر ارادته فى المجاز . فبذلك افترق النوعان

*

* *

أقسام الكناية

والكناية قد تقع مرادا بها الدلالة على صفة معينة . كما يكنى عن البله . بعرض القفا . أو بعرض الوسادة . فيقال . فلان عريض القفا . أو عريض الوساد . لارادة أنه غبي أبله

وكما يكنى بجبن الكلب . عن الكرم . وحب الاضياف . فان جبن الكلب لا يكون الا من تأديب صاحبه له . وتخويفه من أن ينبح الضيفان . ومن هذا الباب ـ كلبه يأنس بالزائرين . وكلبه يحب الضيوف ـ قال الشاعر ـ

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالمعتفيـ ـن من الأم بأبنتها الزائره

- المعتفي - الذى يجيء فى طلب المعروف

وقال - تراه اذا ما أبصر الضيف مقبلا

يكلمه من حبه وهو أعجم

وقد تكون الكناية مرادا بها افادة ذات . والدلالة على موصوف . كما يكنى عن رجل بعينه • بأنه صاحب الأيادي كثير الكرم . فيقال • كنت عند صاحب الأيادي الكريم • يراد به فلان . وكما يقال عن القلوب بطريق الكناية . مجامع الأضغان - قال -

الضاربين بكل أبيض مخذم

الطاعنين مجامع الأضغان

فسروا - المخذم - بالقاطع وضبطوه بالخاء المعجمة والذال المعجمة والذى في القاموس • أسيف خذم . ككتف وصبور ومعظم . قاطع . ثم قال وكمنبر سيف الحارث ابن أبي شمر الغسانى

وفي المخصص روي الخذوم القاطع والجمع خذم وأنشد

طردوا المخازي عن بيوت أبيهم

بأسنة وصوارم خذم

وروي من أوصاف السيوف المهذم بمعنى القاطع

وقد يكنى عن الانسان بأنه . حي . مستوي القامة . عريض الاظفار . بادي البشرة - فالكناية فى هذا كله قد قد أريد بها . أفادة موصوف

وقد يراد بها الدلالة على ثبوت أمر لأمر . واختصاص صفة بموصوف . كما فى قوله

فما جازه جود ولا حل دونه

ولكن يصير الجود حيث يصير

أراد أن يبين أنه جواد . فعمد فى اثبات الجود له الى طريق الكناية . فنفى أن يكون الجود موزعا بينه وبين غيره . وأن يوجد بعيدا عنه . ثم ذكر أنه ملازم لجهته التي يصير اليها . منتقل معه مهما انتقل

وعلى هذا الباب قولهم - مجلس فلان مظنة الجود والكرم . بمعنى أنه كريم . وقال زياد الأعجم

ان السماحة والمروءة والندى

فى قبة ضربت على ابن الحشرج

بمعنى أنه سمح كريم - وقال الشنفرى

يبيت بمنجاة من اللوم بينها
اذا مايبون بالملامة حات

في القاموس . المنجى . ما ارتفع من الأرض . ولعل المنجاة هنا مصدر ميمي . معناه المكان . وأنظر اذا معنى التاء فيه ؟ ويقولون في المثل . الصدق منجاة .

*
* *

واذا كان الموصوف في الكناية غير مذكور . سواء كانت من النوع الذى قصد فيه أفادة صفة . وهو القسم الأول . أو نسبة . وهو القسم الأخير . فالكناية تسمى . تعريضاً . كما تقول في نفي الاسلام عن رجل سيء الأخلاق المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ـ فقد نفيت الاسلام عن موصوف لم يذكر في كلامك التعريض

*
* *

هذا والكناية التي ليست تعريضاً . اذا كثرت الوسائط فيها فهي . تلويح . وان كانت قليلة ولكنها خفية فهي الرمز . وان قلت من غير خفاء فهي . الايماء . التلويح والرمز والاشارة والايماء

والاشارة

قال أبو تمام

أبين فما يزرن سوى كريم

وحسبك أن يزرن أبا سعيد

أراد أن يفيد ثبوت الكرم لأبى سعيد . فجاء بهذه الكناية . قريبة التناول . قليلة الخفاء والوسائط . اذ ليس بعد قوله ـ وحسبك أن يزرن أبا سعيد ـ الا أنه كريم . فذلك الايماء والاشارة

وقال الشاعر

سألت الندي والجود مالى أراكما

تبدلتما ذلا بعز مؤبد

وما بال ركن المجد أمسي مهدما

فقالا أصبنا بابن يحى محمد

فقلت فهلا متما عند موته

فقد كنتما عبديه فى كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزى بفقده

مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وهو ظاهر فى افادة جود محمد ابن يحي ونداه ومجده . فهو ايماء واشارة . ومثله قول البحترى

أو ما رأيت المجد ألقى رحله
في آل طلحة ثم لم يتحول

فذلك كله من الايماء والاشارة. وقال ابن هرمة

لا أمتع العوذ بالفصال ولا
أبتاع الا قريبة الأجل

السكاكي - دل بقوله - لا أمتع العوذ بالفصال - على أنه لا يبقى لها فصالها - فينتفع بها من جهة استئناسها بها. وحصول الفرح الطبيعي لها. في مشاهدتها اياه. وما تستملح من حركاتها لديها - ثم قال - ودل بمعنى أنه لا يبقيها - على أنه ينحرها. ودل بمعنى نحرها. على أنه يصرفها الى قرى الضيفان. وكذا دل بقوله - قريبة الأجل - على أنها لا تلبث عنده حية. ودل بذلك على أنه ينحرها. ثم دل بنحرها على معنى (أضيف) اه فقد توصل الشاعر الى المعنى الذى قصده بطريق بعيد ووسائط. كما رأيت. كثيرة فتكون الكناية تلويحا. وكذلك قولهم في الكناية عن رجل مضياف انه كثير الرماد. لينتقل من كثرة الرماد الى ما يلزمه. وهو كثرة الجمر. ثم من هذا الى لازمه. وهو كثرة أحراق الحطب تحت القدور. ومنه الى لازمه. الذى هو كثرة الطبائخ. ومن هذا الى لازمه. وهو كثرة الآكلين ومنه،

الى كثرة الضيفان . ومنه الى أنه مضياف . فالكناية من التلويح .

وأما الرمز فكما مر من قولهم في الكناية عن البليد . انه عريض القفا . فأن لزوم البلادة لعرض (١) القفا خفي لايعرفه الا قليل . وكذلك قولهم . عريض الوساد . لينتقل منه الى عرض القفا . ثم الى البلادة فالواسطة بين الكناية والمراد شيء واحد ولكنه لازم خفي . كما ترى . والله سبحانه وتعالى أعلم

*
* *

الاستعارة بالكناية

منهب الجمهور

سبق أن الاستعارة المكنية هي ما حذف فيها المشبه به . وذكر شيء من لوازمه . مع ذكر المشبه . والجمهور يرون أن الاستعارة في لفظ المشبه به المحذوف . فيقولون أنه لوحظ في النفس استعارته للمشبه . ثم حذف بعد استعارته . ورمز اليه بشيء من لوازمه

*
* *

منهب السكاكي

ويرى السكاكي . على ما فهم القوم من كلامه . أن

---

(١) عرض من باب ظرف

الاستعارة في لفظ المشبه المذكور . فيقول انه مستعار للمشبه به . بادعاء أنه عين المشبه . وفرد من أفراده . قال في بيان ذلك ندعى ههنا اسم المنية اسما للسبع . مرادفا له . بارتكاب تأويل . وهو أن المنية تدخل في جنس السباع . لأجل المبالغة في التشبيه . بالطريق المعهود . ثم نذهب على سبيل التخييل الى أن الواضع . كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة وأن لا يكونا مترادفين ؟ فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية .

*
* *

وأما الامام محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب . صاحب تلخيص المفتاح . فقد ذهب الى أن الاستعارة بالكناية هي التشبيه الذي يلاحظه المتكلم . ويضمره في نفسه . فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه . فلا تكون الاستعارة بالكناية على مذهبه نوعا من الاستعارة المعروفة لنا بأنها . اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة . مذهب الخطيب

*
* *

قال المولى عصام الدين بعد أن أورد تلك المذاهب مذهب العصام

الثلاثة . واذا عرفت الأقوال الثلاثة فاستمع . فلنا تحقيق رابع . أرجو أن يكون ممن ليس لما أعطاه مانع . وهو أن الاستعارة بالكناية من فروع التشبيه المقلوب . فكما يجعل المشبه مشبها به . مبالغة فى كماله فى وجه الشبه . حتى استحق أن يلحق به المشبه به . كقوله

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

حيث شبه غرة الصباح بوجه الخليفة . كذلك يستعار اسم المشبه للمشبه به . فيكون غاية المبالغة في كمال المشبه فى وجه الشبه . كما فى أظفار المنية . فالمراد بالمنية السبع ويجعل الكلام حينئذ كناية عن تحقق الموت بلا ريبة . فنشبت المنية أظفارها بفلان . معنى نشب السبع أظفاره به كناية عن موته لا محالة . وحينئذ فلا تجوز فى اضافة الأظفار الى المنية . ولا اشكال في جعل المنية استعارة . ووجه تسميتها استعارة بالكناية في غاية الوضوح اه

وحاصل المذاهب الأربعة فى نحو البيت السابق

واذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

أن تقول على طريق السلف . ان الشاعر لاحظ في نفسه تشبيه العناية برجل . ثم استعار الرجل المشبه به للعناية . ثم حذف المستعار . ورمز اليه بشيء من لوازمه . وهو العيون

وأثبته للمشبه . استعارة تخييلية . كما سلف . وتقول على طريق السكاكي . ان العناية مستعارة للرجل . بادعاء أنه فرد من أفراد العناية . على معنى ان للعناية فردين . أحدهما العناية الحقيقية . وثانيهما الرجل الذي يتأول فيه . بادخاله تحت اسم العناية . مبالغة في تشبيهها به . فاستعير لفظ العناية لذلك الفرد الادعائي

وتقول على مذهب الخطيب . ان الشاعر شبه في نفسه العناية بالرجل . ثم طوى ذكر المشبه به . ورمز اليه بشيء من لوازمه . وهو العيون .

وتقول على طريقة العصام . ان الشاعر شبه الرجل بالعناية . مبالغة في قوة الشبه . كما يشبه السبع بالمنية . وكما تشبه غرة الصباح بوجه الخليفة . ثم استعير لفظ المشبه به المقلوب . وهو العناية . للمشبه وهو الرجل . ويكون معنى ملاحظة عيون الرجل . كناية طلب الكرامة له مثلا

الاستعارة التخييلية عند السكاكي

فسر السكاكي الاستعارة التخييلية بأنها . التي يكون معناها غير موجود عند الحس . ولا عند العقل . ولذلك قد توجد التخييلية . على مذهبه . من غير أن توجد معها لاستعارة المكنية . على خلاف مذهب القوم فى ذلك .

وقد مر بيانه

وبجمل ما عمل السكاكي هنا . أنه قسم الاستعارة الى تصريحيه ومكنية . وقسم التصريحية الى تحقيقية وتخييلية والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئا متحققا . اماحسيا . واماعقليا . والمرادبالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئاوهميامحضا . لاتحقق له الافى مجرد الوهم . ثم تقسم كل واحدة منهما الى قطعية . وهي أن يكون المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي . أو على ما لا تحقق له البتة . الا في الوهم - والي احتمالية . وهي أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما له تحقق . وأخري على ما لا تحقق له . فهذه أقسام أربعة . الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع - الاستعارة المصرح بها التمثيلية مع القطع - الاستعارة المصرح بها مع الاحتمال للتحقيق والتخييل - الاستعارة بالكناية - فمثال المصرحة التحقيقية . رأيت أسدا يتكلم . ونظرت الي بدر يبتسم . فان المشبه هنا . وهو الرجل الشجاع . والذات الجميلة متحقق محسوس . والتصريحية التخييلية - هي أن تسمي باسم صورة متحققة . صورة عندك وهمية محضة . تقدرها مشابهة لها . مفردا

فى الذكر - في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم . من كون مسماه شيئا متحققا . وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع . في اغتيال النفوس - وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة . من غير تفرقة بين نفاع وضرار . ولا رقة لمرحوم . ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيها بليغا - حتي كأنها سبع من السباع . فيأخذ الوهم فى تصويرها في صورة السبع - واختراع ما يلزم صورته . ويتم بها شكله . من ضروب هيئات . وفنون جوارح وأعضاء . وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها . وتمام افتراسه للفرائس بها . من الأنياب والمخالب . ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة . على سبيل الافراد بالذكر . وان تضيفها الي المنية . قائلا . مخالب المنية . أو أنياب المنية الشبيهة بالسبع . ليكون اضافتها اليها قرينة مانعة من اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها

والقسم الثالث . التصريحيه المحتملة للتحقيق والتخييل كما اذا كان المشبه المتروك صالح الحمل على ماله تحقق من وجه . وعلى مالا تحقق له من وجه آخر . ونظيره قول زهير

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعري أفراس الصبا ورواحله

أراد أن يبين انه أمسك عما كان يرتكب أوان الصبا . وقمع النفس عن التلبس بذلك . معرضاً الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي . وركوب مراكب الجهل . فقال - وعري أفراس الصبا ورواحله - فحق قوله - أفراس الصبا ورواحله - أن يعد استعارة تخييلية . لما يسبق الى الفهم . ويتبادر الى الخاطر . من تنزيل أفراس الصبا ورواحله منزلة انياب المنية ومخالبها . وان كان يحتمل احتمالا بالتكلف . أن تجعل الأفراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها . والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات أو عن الأسباب التى قلما تتآخذ فى اتباع الغي . وجر أذيال البطالة . الا أوان الصبا .

وأما القسم الرابع وهو الاستعارة بالكناية فقد سبق الكلام عنه - والله سبحانه وتعالى أعلم

٢٧ — ٥ — ١٣٣٠

١٥ — ٥ — ١٩١٢

الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	٩	وقدرها	وقدروها
٨	١٠	بذور	بزور
١٥	٧	تحي	تحيا
١٦	٥	شوقتهم	شوقهم
١٧	١٤	بذور	بزور
٢٢	٤	الحسين	الحسن
٢٥	١٧	مصادقة	مصادفة
٢٩	٣	بفرع	يقرع
٣٣	٩	المذكوره	المذكور
٣٣	٢٠	ولا	لا
٣٨	١١	وغيرهما	وغيرهم
٣٩	١٤	تجنح	نجنح
٤٠	١٦	سواءن	سواء
٤١	١٦	المصطع	المصقع
٥٥	٥	عندما اذا	عند ماذا
٥٦	١٠	مستثيا	مستتيا
٥٧	٣	فانه يجب	فانه لا يجب
٥٨	١٥	نرحوه	نرجوه
٥٨	١٥	فتجرمه	فتحرمه
٦٥	١٥	الطول	المطول

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٧١	٣	التفتازينى	التفتازانى
٧٢	١٦	التجوء	التجأوا
٧٥	١٤	لا يوصل	لا يصل
٧٦	١	ادا اشبه	اذا اشبه
٧٨	١١	قيس بن معاذ	قيس بن الملوح
٨٠	١٢	وجناته	وجنتاه
٨١	٦	قلنا	فلنا
٨٦	١٦	اذا كان اللفظ	اذا كان لفظ
٨٨	١٩	عشرة	عشرين
٨٨	٢٠	الا	لا
٨٩	٣	يوقف	يقف
٩٩	٤	والروحل	والرواحل
١٠٥	١٠	قبل	قيل
١٠٨	٦	بضوف	بصنوف
١٠٩	٧	وتديير	وتدبير
١١١	٣	بالمتغين	بالمتفين
١١٣	١	بينها	بيتها
١١٣	٢	بيون	بيوت
١١٤	١٨	محمد ابن يحي	محمد بن يحي
١١٧	٧	فبتهيأ	فيتهيأ
١٢٠	١٢	التمثيليه	التخيليه

فهرست

صفحة

صفحة

صفحة